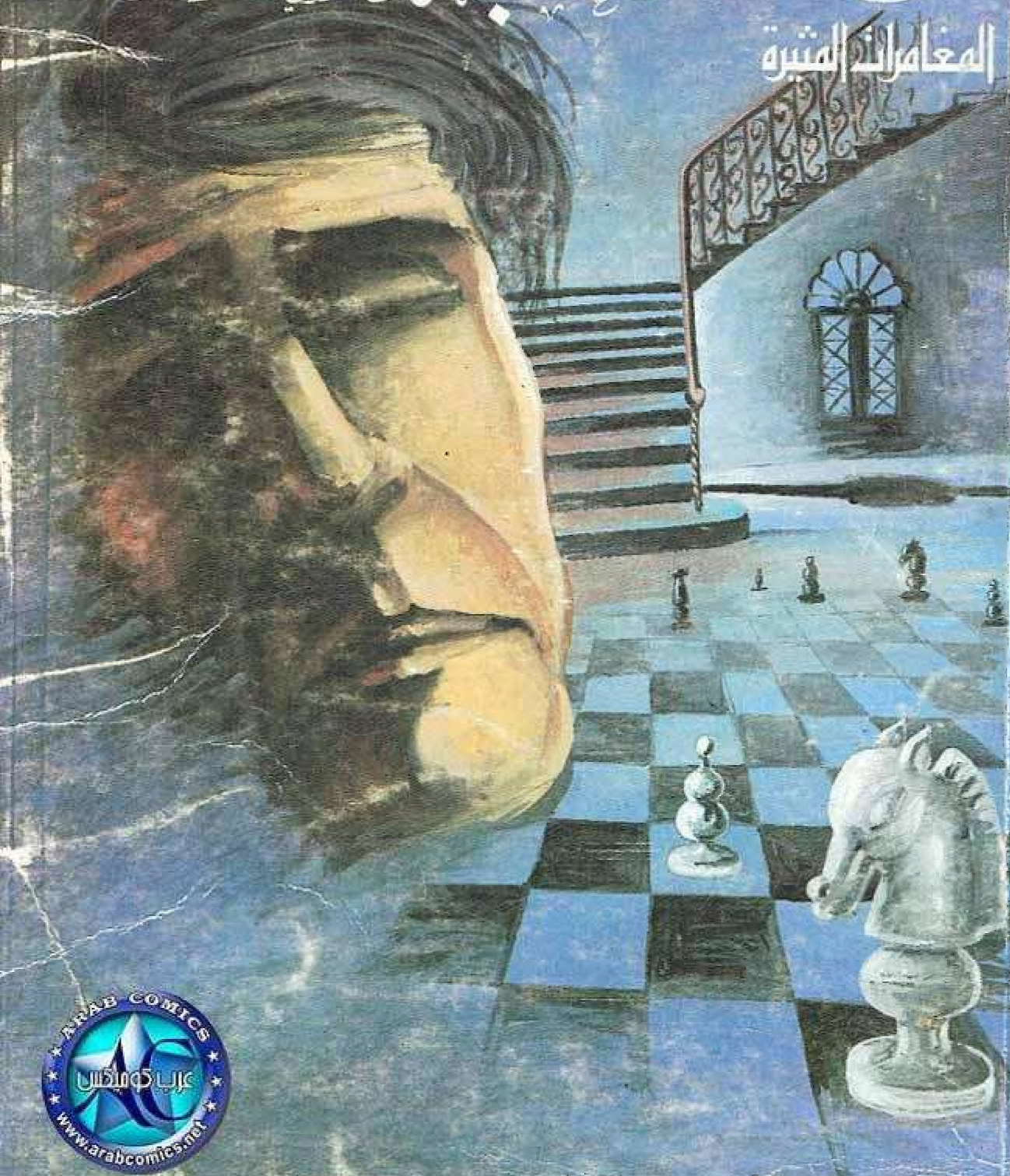
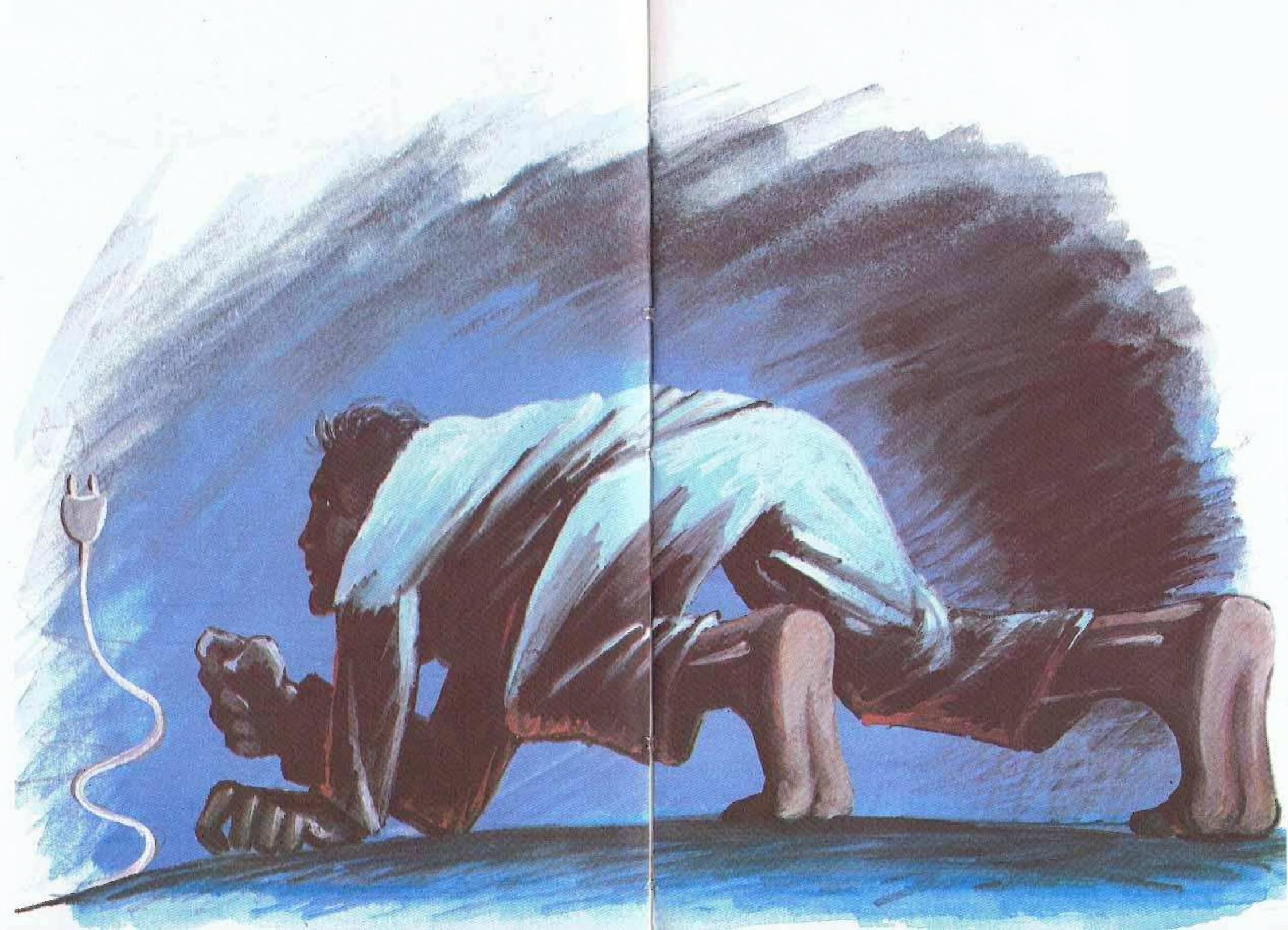


لعبة خيطة



المغامرات المثيرة





لُعْبَةُ خَطِرَةٍ



تأليف : وليم هاريس
إعداد : صلاح عبد الخالق
رُسُوم : حسن عبد الستار

مَكْتَبَةُ لُبْنَان
بِئروت

© الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة
جميع الحقوق محفوظة : لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه
أو تسجيله بأية وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

الطبعة الثانية

رقم الإيداع : ٢٢٩٥ / ٨٨

الترقيم الدولي : ٧-٥٣-١٤٤٥-٩٧٧ ISBN

طبع بمطابع دار المعارف - القاهرة

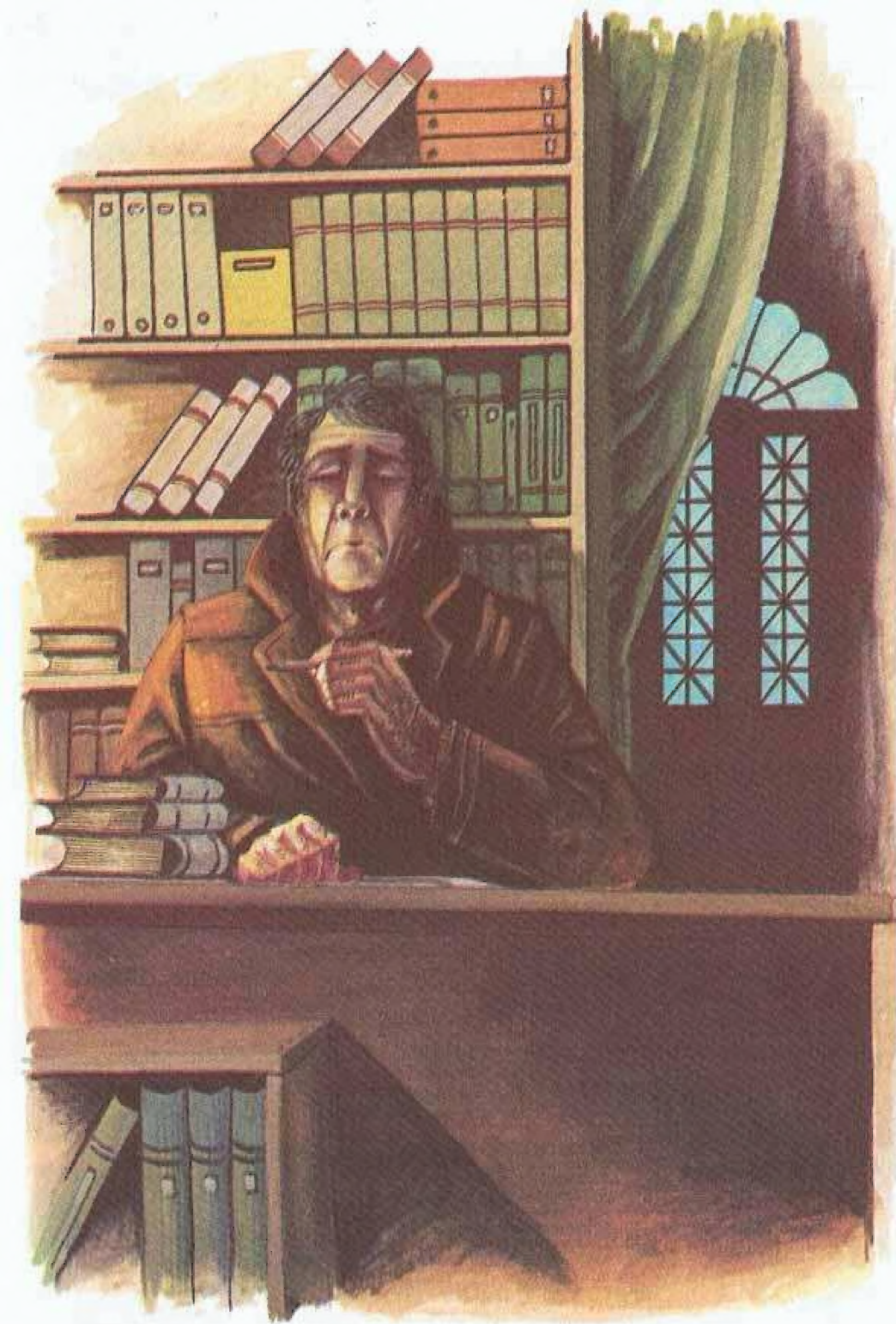
الفصل الأول

بادئ ذي بدء

لَسْتُ أَدْرِي مَتَى بَدَأَتْ هَذِهِ اللَّعْبَةُ ، فَقَدْ مَضَى عَلَى وَفَاةِ زَوْجَتِي اثْنَا عَشَرَ عَامًا ، وَقَدْ بَدَأَتْ اللَّعْبَةُ - بِكُلِّ تَأْكِيدٍ - بُعِيدَ وَفَاتِهَا ، غَيْرَ أَنِّي لَا أُسْتَطِيعُ تَذَكُّرَ مَتَى كَانَ ذَلِكَ . ظَلَلْتُ أَعِيشُ فِي هَذَا الْمَنْزِلِ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجَتِي ، وَمَا زِلْتُ حَتَّى آلَانَ أَعِيشُ فِيهِ . وَهُوَ مَنْزِلٌ كَبِيرٌ ، أَعِيشُ فِيهِ بِمُفْرَدِي . وَالْإِنْتِقَالُ إِلَى مَنْزِلٍ صَغِيرٍ أَمْرٌ هَيِّنٌ ، لَكِنِّي لَا أَشْعُرُ بِأَيَّةِ رَغْبَةٍ فِي تَرْكِ بَيْتِي ، فَقَدْ نَشَأَ عِنْدِي إِحْسَاسٌ بِالْمَحَبَّةِ وَالْمَوَدَّةِ نَحْوَ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِ . فَإِنَّا لَيْسَ لِي أَصْدِقَاءُ كَثِيرُونَ ، وَقَدْ أَصْبَحَتْ الْأَشْيَاءُ الَّتِي بِالْمَنْزِلِ ذَاتَ أَهَمِّيَّةٍ خَاصَّةٍ بِالنِّسْبَةِ لِي ، وَلَا يُمَكِّنُنِي الْعَيْشُ بِدُونِهَا .

لَقَدْ عَرَفْتُ - بَعْدَ فِتْرَةٍ مِنْ وَفَاةِ زَوْجَتِي - أَنَّ غُرْفَةَ نَوْمِي مَسْكُونَةٌ بِالْأَشْبَاحِ ، وَكَانَتِ الْغُرْفَةُ الْوَحِيدَةُ بِالْمَنْزِلِ الَّتِي تَسْكُنُهَا الْأَشْبَاحُ . فَذَاتَ لَيْلَةٍ أَحْسَسْتُ - بِالْمُصَادَفَةِ - بِوُجُودِ شَيْخٍ بِالْغُرْفَةِ ؛ وَلَمْ أَشْعُرْ بِالْخَوْفِ أَوْ الْفَزَعِ ، فَقَدْ كَانَ الشَّيْخُ ظَرِيفًا يَمْلَأُ الْجَوَّ بِالْبَهْجَةِ . وَكُنْتُ دَائِمًا أَشْعُرُ بِمِيلٍ شَدِيدٍ لِلضَّحِكِ عِنْدَ الْإِحْسَاسِ بِوُجُودِهِ .

قَدْ تَظُنُّونَ أَنَّهُ شَيْخٌ زَوْجَتِي . لَا أَدْرِي ، فَإِنَّا دَائِمًا أَفَكِّرُ فِي الشَّيْخِ عَلَى أَنَّهُ لِرَجُلٍ وَلَيْسَ لِامْرَأَةٍ . وَقَدْ أَطْلَقْتُ عَلَيْهِ اسْمَ بُولَدِي الَّذِي اقْتَبَسْتُهُ



مِنْ اسْمِ شَبَحٍ صَخَابٍ تَتَحَدَّثُ عَنْهُ الْأَسَاطِيرُ . فَقَدْ كَانَ شَبَحًا يُحَدِّثُ
ضَوْضَاءَ شَدِيدَةً ، وَكَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ الشَّبَحَ الظَّرِيفَ شَبَحٌ يُحِبُّ اللَّعِبَ
وَيَعْمِدُ إِلَى إسْقَاطِ الْأَشْيَاءِ عَلَى الْأَرْضِ ، وَإِحْدَاثِ ضَوْضَاءٍ عَالِيَةٍ ، وَقَذْفِ
الْأَشْيَاءِ هُنَا وَهُنَاكَ ، بَلْ يَعْمِدُ أحيانًا إِلَى تَحْرِيكِ الْفِرَاشِ وَ الْقِيَامِ بِبَعْضِ
الْأَلْعَابِ .

كَانَ بُولْدِي ظَرِيفًا وَمُحِبًّا لِلْعِبِ ، وَلِذَلِكَ اخْتَرَعْنَا لَعِبَةً ظَرِيفَةً ، نَلْعِبُهَا
مَعَ كُلِّ لَيْلَةٍ ، وَنَحْنُ نَقُومُ بِذَلِكَ مِنْذُ سَنَوَاتٍ . وَفِي الْوَاقِعِ ، عَلَيَّ أَنَّ
الْعَبَ اللَّعْبَةَ دَائِمًا قَبْلَ أَنْ أَنَامَ ، وَلَا يُمْكِنُنِي النَّوْمُ إِذَا لَمْ أَلْعَبْهَا .
وَبُولْدِي لَا يَظْهَرُ فِي مُتَنَصِّفِ اللَّيْلِ ، فَهُوَ لَيْسَ شَبَحًا عَادِيًّا ، وَإِنَّمَا هُوَ
دَائِمًا فِي الْغُرْفَةِ ، وَلَا يَظْهَرُ إِلَّا عِنْدَمَا نَلْعَبُ اللَّعْبَةَ . وَلَسْتُ مُضْطَرًّا - بِطَبِيعَةِ
الْحَالِ - لِأَنَّ الْعَبَ هَذِهِ اللَّعْبَةَ ، لَكِنِّي دَائِمًا أَقْبِلُ عَلَيْهَا بِشَوْقٍ وَرَغْبَةٍ ،
وَأَعْرِفُ تَمَامًا أَنَّ بُولْدِي يُشَارِكُنِي هَذَا الْإِحْسَاسَ .

إِنِّي أَقُومُ الْآنَ بِكِتَابَةِ هَذِهِ الْقِصَّةِ لِأَحْكِي لَكُمْ عَنْ هَذِهِ اللَّعْبَةِ ، الَّتِي
لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ عَنْهَا شَيْئًا ، بَلْ إِنَّ أَقْرَبَ أَصْدِقَائِي (أَوْ بِالْأُخْرَى صَدِيقِي
الْوَحِيدَ) لَا يَعْرِفُ عَنْهَا شَيْئًا . أَنَا وَبُولْدِي وَحَدَّنَا نَعْرِفُ أَصُولَهَا ، وَهِيَ
سِرُّنَا الْكَبِيرُ . لَقَدْ تَكَلَّمْتُ كَثِيرًا ، إِلَّا أَنَّكَ حِينَ تُقِيمُ فِي مَكَانٍ مَا
بِمَقَرِّدِكَ ، فَإِنَّكَ كَثِيرًا مَا تَتَغَلَّبُ عَلَى الشُّعُورِ بِالْوَحْدَةِ بِالْحَدِيثِ مَعَ
نَفْسِكَ !

وَلِنَبْدَأُ الْآنَ الْقِصَّةَ مِنَ الْبِدَايَةِ . اسْمِي وَلِيمَ هَارِيسَ ، وَعُمْرِي ثَمَانِيَّةٌ
وَأَرْبَعُونَ عَامًا ، وَلَعَلَّكُمْ سَمِعْتُمْ عَنِّي . لَسْتُ رَجُلًا مَشْهُورًا ، وَلَكِنَّ عَدَدًا
كَبِيرًا مِنَ النَّاسِ سَمِعُوا عَنِّي فَعَلًا . فَأَنَا كَاتِبٌ ، وَقَدْ أَلَفْتُ خَمْسَةَ
وَعِشْرِينَ كِتَابًا .

أَنَا أَقُومُ بِتَأْلِيفِ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْقِصَصِ : قِصَصِ الْحُبِّ ، وَالْقِصَصِ
الْبُولِيسِيَّةِ ، وَقِصَصِ الْأَشْبَاحِ أَيْضًا . وَأَرْجُو أَلَّا تُسَيِّئُوا فَهْمِي ، فَقِصَّتُنَا
الْيَوْمَ لَيْسَتْ قِصَّةً عَادِيَّةً مِنْ قِصَصِ الْأَشْبَاحِ . إِنَّهَا تَخْتَلِفُ تَمَامًا عَنْ أَيِّ
قِصَّةٍ كَتَبْتُهَا . وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهَا قِصَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ ، جَمِيعُ أَحْدَاثِهَا وَاقِعِيَّةٌ ،
وَمَا زِلْتُ وَقَائِعُهَا تَحْدُثُ كُلَّ يَوْمٍ !

لَسْتُ كَاتِبًا مَشْهُورًا ، وَمَعَ ذَلِكَ تُحَقِّقُ كُتُبِي مَبِيعَاتٍ طَيِّبَةً ، ثُمَّ كُنْتُ
مِنْ الْإِقَامَةِ فِي هَذَا الْمَنْزِلِ الْجَمِيلِ ، كَمَا ثُمَّ كُنْتُ مَنْ تَحْمِلُ نَفَقَاتِ الْحَيَاةِ
كَمَا أُرِيدُهَا . لَسْتُ غَنِيًّا ، كَمَا أَنَّنِي لَسْتُ فَقِيرًا . وَأَنَا أَحْيَا حَيَاةً بَسِيطَةً ؛
لَقَدْ كَانَ أُسْلُوبِي فِي الْحَيَاةِ دَائِمًا بَسِيطًا . وَحِينَ كَانَتْ زَوْجَتِي عَلَى قِيدِ
الْحَيَاةِ ، لَمْ تَكُنْ حَيَاتِي بِهِذِهِ الْبَسَاطَةِ ، كُنَّا نَخْرُجُ كَثِيرًا ، وَكَانَ لَنَا
أَصْدِقَاءُ كَثِيرُونَ . لَكِنَّ بَعْدَ وَفَاتِهَا أَصْبَحْتُ حَبِيسَ الْمَنْزِلِ ، لَا أَخْرُجُ
كَثِيرًا ، وَأَقْضِي كُلَّ وَقْتِي فِي الْكِتَابَةِ (وَأَقُومُ الْآنَ بِكِتَابَةِ قِصَّةٍ بُولِيسِيَّةٍ
أُخْرَى ، فَقُرَائِي يُفَضِّلُونَ الْقِصَصَ الْبُولِيسِيَّةَ ، وَقَدْ ابْتَكُرْتُ شَخْصِيَّةَ
الْمُخْبِرِ السَّرِّيِّ الشَّهِيرَةِ فِيلْبِرْتِ وَائِلِي) . وَقَدْ تَوَقَّفْتُ حَالِيًا عَنْ كِتَابَةِ قِصَّةٍ

فيلبُرت وإيلي الجديدة ، وذلك للتفرغ لِقِصَّتِي هَذِهِ .

وَيَجِبُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ بِشَيْءٍ عَنْ نَفْسِي وَعَنْ زَوْجَتِي . فَقَدْ كَانَتْ حَيَاتُنَا - حِينَئِذٍ - مُخْتَلِفَةً تَمَامًا عَمَّا أَنَا فِيهِ الْآنَ . وَكَانَتْ زَوْجَتِي جُولِي تَصْغُرُنِي بِعَامَيْنِ ، وَطِبَاعُهَا مُخْتَلِفَةٌ تَمَامًا عَنْ طِبَاعِي : فَهِيَ تُحِبُّ الْغِنَاءَ وَالرَّقْصَ وَالذَّهَابَ إِلَى الْحَفَلَاتِ ، وَلَمْ يَكُنْ مَنَزْلُنَا - فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ - يَخْلُو مِنَ الْأَصْدِقَاءِ . وَكَانَ مِنْ عَادَتِهَا أَنْ تَقُولَ لِي : « إِذْهَبْ وَارْتِدِ حُلَّتَكَ يَا وَلِيم ! » وَأَنَا لَا أُحِبُّ ارْتِدَاءَ الْحُلَلِ . كَانَتْ عِبَارَتُهَا تِلْكَ تُعْنِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةً : الْإِسْتِعْدَادَ لِلْقِيَامِ بِزِيَارَةِ مَا ، أَوْ اسْتِقْبَالَ بَعْضِ الْأَصْدِقَاءِ لِتَنَاوُلِ الطَّعَامِ ، أَوْ الْإِسْتِعْدَادَ لِحَفْلَةٍ تُقِيمُهَا فِي مَنَزْلِنَا . حَيَاتِي مَعَهَا مَلِيشَةٌ بِالْمُفَاجَأَاتِ ، فَمَعَ جُولِي كُلَّ شَيْءٍ مُمَكِّنٍ ! بِاخْتِصَارٍ .. كَانَتْ حَيَاتِي بَيْنَ يَدَيِ جُولِي ، تَفْعَلُ بِهَا مَا تَشَاءُ ، وَبِدُونِهَا كُنْتُ لَاشَيْءٍ ! كُنْتُ أَفْضَلُ الْإِلْتِعَادِ وَالْإِلْعِزَالِ عَنِ الْعَالَمِ ، فَإِذَا بِهَا تَنْقُلُ الْعَالَمَ إِلَى بَيْتِي !



كَانَتْ حَيَاةً رَائِعَةً ، لِأَنَّ جُولِي جَعَلَتْهَا كَذَلِكَ . وَكُنْتُ مُوَضَّعٌ غَيْرُهُ أَصْدِقَائِي ، فَكَانُوا يَتَهَامَسُونَ : « يَا لِحَظٍّ وَلِيم ! أَسْعَدَهُ الْحَظُّ بِزَوْجَةٍ رَائِعَةٍ حَقًّا ، بِالرَّغْمِ مِنْ طِبَاعِيهِمَا الْمُخْتَلِفَةِ .. وَلِيمُ هَادِيٌّ الطَّبْعِ ، غَيْرُ جَذَابٍ ، بَيْنَمَا جُولِي تَمْتَلِي حَيَوِيَّةً وَنَشَاطًا . »

نَعَمْ ، كَانُوا يَحْسُدُونَنِي عَلَى جُولِي ! كُنَّا سَعْدَاءَ ، وَكَانَ مَصْدَرُ هَذِهِ السَّعَادَةِ مَا يَحْمِلُهُ كُلُّ مَنَا لِلْآخِرِ مِنْ حُبٍّ .

وَفَجْأَةً وَقَعَتْ جُولِي فَرِيسَةً لِلْمَرَضِ ، الَّذِي سَرَّعَانَ مَا اشْتَدَّ بِهَا . وَلَجَأْتُ لِكِبَارِ الْأَطِبَّاءِ لِكِنَّهُمْ أَخْفَقُوا جَمِيعًا فِي عِلَاجِهَا . وَكُنْتُ الْأَزِمُهَا وَأُعْنَى بِهَا لَيْلًا وَنَهَارًا ، لَكِنَّهَا فَارَقَتْ الْحَيَاةَ بَعْدَ فِتْرَةٍ لَمْ تَتَجَاوَزِ الشَّهْرَيْنِ .

رَحَلَتْ جُولِي ! لَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أَصَدِّقَ ، بَلْ إِنِّي مَارِلْتُ - بَعْدَ كُلِّ هَذِهِ السَّنَوَاتِ - لَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أَصَدِّقَ . رَحَلَتْ جُولِي وَرَحَلَ مَعَهَا جُزْءٌ مِنِّي . إِنَّهَا تَعِيشُ الْآنَ فِي ذَاكِرَتِي ، وَلَا أُسْتَطِيعُ نِسْيَانَهَا ، وَلَكِنْ أُنْسَاهَا أَبَدَ الدَّهْرِ .

وَلَمْ أُرِدِ الزَّوْاجَ مَرَّةً أُخْرَى . عِنْدَمَا مَاتَتْ جُولِي كَانَ قَدْ مَرَّ عَلَى زَوَاجِنَا اثْنَا عَشَرَ عَامًا ، وَهَا قَدْ مَرَّ عَلَى وَفَاتِهَا اثْنَا عَشَرَ عَامًا . وَلَمْ يَرْزُقْنَا اللَّهُ بِأَطْفَالٍ ؛ لِذَلِكَ عِنْدَمَا مَاتَتْ تَرَكْتَنِي وَحِيدًا ، حَبِيسَ جُدْرَانِ هَذَا

الْمَنْزِلِ . وَأَغْرَقْتُ نَفْسِي فِي الْعَمَلِ ، مُحَاوِلًا - فِي الْبِدَايَةِ - أَنْ أَتَبَعِدَ
عَنِ التَّفَكُّيرِ فِيهَا . وَكَانَ الْآلَمُ يَعْتَصِرُنِي أَوَّلَ الْأَمْرِ .. وَمَعَ مُرُورِ الزَّمَنِ
تَحَسَّنَتِ الْأُمُورُ قَلِيلًا ، بِالرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ زَوَالِ الْآلَمِ تَمَامًا ، إِلَّا أَنَّنِي حِينَ
أَفَكَّرْتُ فِي جُولِي أَحْسَسْتُ أَنَّهَا لَمْ تَمُتْ ، بَلْ مازالت حَيَّةً فِي ذَاكِرَتِي
وَفِكْرِي .

بِطَبِيعَةِ الْحَالِ فَقَدْتُ مُعْظَمَ أَصْدِقَائِي .. هَؤُلَاءِ الْأَصْدِقَاءِ الْحَاقِدِينَ
الَّذِينَ كَانُوا يَمِيلُونَ لِحُولِي ، وَلَا يَحْمِلُونَ لِي كَثِيرًا مِنَ الْوُدِّ . وَالْآنَ وَقَدْ
أَصْبَحَ الْبَيْتُ خَالِيًا مِنْ جُولِي لَمْ أَعُدْ أَتْرُكُهُ ، وَلَمْ أَعُدْ أَذْهَبْ إِلَى الْحَفَلَاتِ
أَوْ أَدْعُو الْأَصْدِقَاءَ إِلَى مَنْزِلِي . وَلَمْ يَمُضْ وَقْتُ طَوِيلٍ حَتَّى تَحُلَّى عَنِّي
جَمِيعُ الْأَصْدِقَاءِ ، فَلَمْ يَكُونُوا يَرْغَبُونَ فِي قَضَاءِ أَوْقَاتِهِمْ مَعَ شَخْصٍ مُمِلٍّ
مِثْلِي . لَمْ يَعُدْ هُنَاكَ مَنْ يَغَارُ مِنِّي الْآنَ ، وَلَمْ أَعُدْ وَلِيْمٌ سَعِيدَ الْحِظِّ ،
بَلْ أَصْبَحْتُ مُجَرَّدَ وَلِيْمٍ الْمِسْكِينِ .

لَيْسَ لِي الْآنَ غَيْرُ صَدِيقٍ مُخْلِصٍ وَاحِدٍ ، يُدْعِي لُؤِيْسَ ، يَعْمَلُ بِالتَّأْلِيفِ
أَيْضًا ، إِلَّا أَنَّنِي أَجْهَلُ - تَمَامًا - الْكُتُبَ الَّتِي أَلْفَهَا ، وَلَمْ أَقْرَأْ أَيًّا مِنْهَا ،
وَلَمْ تَقَعْ عَيْنَايَ - فِي الْوَاقِعِ - عَلَى أَيِّ كُتُبٍ لَهُ فِي الْمَكْتَبَاتِ .

عِنْدَمَا نَلْتَقِي - أَنَا وَلُؤِيْسَ - لَانْتَحَدْتُ أَبَدًا عَنِ الْكُتُبِ ، ذَلِكَ لِأَنَّ
لَدُنَا اهْتِمَامًا آخَرَ .. فَكُلُّ مَنَا يَهْوَى لُغْبَةَ الشُّطْرُنْجِ ، وَنَتَقَابَلُ مَرَّةً فِي

الْأُسْبُوعِ حَوْلَ رُقْعَةِ الشُّطْرُنْجِ .

يَزُورُنِي لُؤِيْسُ كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعَاءَ ، وَيَصِلُ دَائِمًا فِي السَّاعَةِ الثَّامِنَةِ مَسَاءً ،
فَنَقْطِلُ نَلْعَبُ الشُّطْرُنْجَ لِمُدَّةِ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ تَقْرِيْبًا .

نَلْعَبُ أحيانًا عِدَّةَ مُبَارَيَاتٍ ، وَأحيانًا نَكْتَفِي بِمُبَارَاةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ ، وَفِي
حَوَالِي الْحَادِيَةِ عَشْرَةِ يَعُودُ لُؤِيْسُ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَأَتَوَجَّهُ أَنَا إِلَى حُجْرَةِ النَّوْمِ
لِللَّعِبِ لُغْبَةَ مُخْتَلِفَةً مَعَ بُولْدِي . سَأُحْكِي لَكُمْ عَنْهَا فِيمَا بَعْدُ .

إِنَّ لُؤِيْسَ - فِي الْوَاقِعِ - صَدِيقٌ مُخْلِصٌ جَدًّا ، نَلْعَبُ الشُّطْرُنْجَ
مَعًا ، وَلَانْتَحَدْتُ كَثِيرًا عَادَةً ، بَلْ أحيانًا لَانْتَكَلَمْتُ كَلِمَةً وَاحِدَةً طَوَالَ
الْمَسَاءِ ، فَالْأَصْدِقَاءُ الْمُخْلِصُونَ لَيْسُوا فِي حَاجَةٍ إِلَى الْكَلَامِ .

لَعَلَّكَ تُذَكِّرُ الْآنَ أَنَّ لُؤِيْسَ يَعْرِفُنِي تَمَامَ الْمَعْرِفَةِ ، وَأَنَّنِي أَغْرَفُهُ تَمَامَ
الْمَعْرِفَةِ ، فَقَدْ كُنَّا أَصْدِقَاءَ مُدَّةٍ كُنَّا طُلَّابًا . كَانَ لُؤِيْسُ صَدِيقِي قَبْلَ أَنْ
أَتَعَرَّفَ عَلَى جُولِي ، وَهُوَ يَعْرِفُ الْكَثِيرَ عَنِّي ، إِلَّا أَنَّ هُنَاكَ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ
لَا يَعْرِفُهَا عَنِّي .. وَأَنَا عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّهُ سَيَدَهْشُ عِنْدَ قِرَائَتِهِ لِهَذِهِ الْقِصَّةِ .

كُنَّا - أَنَا وَلُؤِيْسَ - نَلْعَبُ الشُّطْرُنْجَ مَعًا لِسَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ ، وَاعْتَادَ أَنْ
يَحْضُرَ إِلَى مَنْزِلِي أَثْنَاءَ حَيَاةِ جُولِي . وَلَمْ نَكُنْ - أَنَا وَجُولِي - نَحْضُرُ -
إِطْلَاقًا - أَيَّةَ حَفَلَاتٍ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ، فَيَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ كَانَ - دَائِمًا - يَوْمِي
الْمُخَصَّصَ .

يَجِبُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ أَنَّ لِي سَيِّكُونُ هُنَا غَدًا ، وَتَحْنُ الْآنَ فِي صَبَاحِ
يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ . إِنِّي أَجْلِسُ إِلَى مَكْتَبِي فِي حُجْرَةِ الْمَكْتَبِ ، مِنْهُمَكَ فِي
كِتَابَةِ هَذِهِ الْقِصَّةِ ، وَشَمْسُ الشَّيْءِ تَتَلَمَّسُ طَرِيقَهَا عَبْرَ نَافِذَةِ حُجْرَةِ
مَكْتَبِي . وَهُوَ يَوْمٌ جَمِيلٌ إِلَّا أَنِّي لَا أَمِيلُ لِلْخُرُوجِ إِطْلَاقًا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ ،
فَقَدْ أَصْبَحَ فِيلْبِرْتُ وَائِلِي رَفِيقَي الْوَحِيدَ .

أَشْعُرُ - فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ - بِتَعَبٍ شَدِيدٍ ، وَبِمَيْلٍ لِلنَّوْمِ ، لِأَنِّي لَمْ
أَتَمْ جِدًّا اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ ، فَقَدْ قَضَيْتُهَا فِي اللَّعِبِ مَعَ بُولْدِي ، وَاسْتَمَرَّتِ
اللَّعْبَةُ وَقْتًُا طَوِيلًا .. سَأُحْكِي لَكُمْ عَنْهَا ، وَلَكِنْ لَيْسَ الْآنَ .

هَذِهِ هِيَ حَيَاتِي . حَيَاةٌ بَسِيطَةٌ لِلْغَايَةِ ، لَيْسَ فِيهَا مَا يُثِيرُ الْإِثْبَاهَ ، أَلَيْسَ
كَذَلِكَ ؟ كَيْفَ تَكُونُ الْحَيَاةُ مُنْتَعَةً بِدُونِ وُجُودِ جُولِي ؟ فَمَا أَنَا الْآنَ إِلَّا
كَاتِبٌ فِي وَسْطِ الْعُمْرِ ، يَعِيشُ وَحِيدًا فِي مَنْزِلٍ كَبِيرٍ ، لَمْ يَبْقَ لَهُ فِي هَذِهِ
الدُّنْيَا غَيْرُ صَدِيقٍ مُخْلِصٍ وَاحِدٍ . لَدَيَّ كُتُبِي ، وَلَدَيَّ فِيلْبِرْتُ وَائِلِي -
الْمُخْبِرُ السَّرِّيُّ الشَّهِيرُ - وَمِنْ الْمَحْتَمَلِ أَنِّي أَعِيشُ حَيَاتِي مِنْ خِلَالِ
فِيلْبِرْتِ ، وَلَدَيَّ الشَّطْرَنْجُ وَالْكَثِيرُ مِنَ الذِّكْرِيَّاتِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَهِيَ لَيْسَتْ
حَيَاةً حَزِينَةً ، كَمَا أَنَّهَا لَيْسَتْ هَادِئَةً تَمَامًا ، فَكَثِيرٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ تَحْدُثُ
فِي هَذَا الْمَنْزِلِ .. فَهَنَّاكَ كَثِيرٌ مِنَ الضَّجِيجِ وَالضَّحِكِ وَ .. وَالْفَضْلُ فِي
كُلِّ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى بُولْدِي الَّذِي لَمْ أُخْبِرْكُمْ عَنْهُ شَيْئًا بَعْدُ . وَيَبْدُو أَنَّ

بُولْدِي وَالضَّحِكُ شَيْئَانِ مُتَلَازِمَانِ - أَعْنِي أَنَّهُمَا عَادَةٌ مَا يَكُونَانِ
مُتَلَازِمَيْنِ .

لَا أَعْرِفُ مَتَى بَدَأَتِ اللَّعْبَةُ . لَقَدْ أُخْبِرْتُكُمْ بِذَلِكَ مِنْ قَبْلُ ، وَلَا اسْتَطِيعُ
أَنْ أَذْكَرَ فِي أَيِّ وَقْتٍ كَانَتْ مُقَابِلَتِي الْأُولَى مَعَ بُولْدِي ، إِلَّا أَنِّي أَذْكَرُ
تَمَامًا كَيْفَ تَمَّتْ هَذِهِ الْمُقَابَلَةُ . أَذْكَرُ اللَّحْظَةَ الْأُولَى الَّتِي ظَهَرَ فِيهَا ،
أَعْنِي اللَّحْظَةَ الَّتِي أَذْرَكْتُ أَنَّهُ فِي حُجْرَةِ نَوْمِي ، بَلْ إِنِّي لِأَذْكَرُ كُلَّ
تَفْصِيلَاتِهَا ؛ وَلِذَلِكَ أَوْدُ أَنْ أُحْكِيَ لَكُمْ عَنْهَا بِالتَّفْصِيلِ . إِلَّا أَنَّهُ لَا بَدْءَ لِي -
أَوَّلًا - أَنْ أُخْبِرْكُمْ أَنَّ حُجْرَةَ نَوْمِي لَمْ تَكُنْ مَسْكُونَةً بِالْأَشْبَاحِ فِي حَيَاةِ
جُولِي ، وَرُبَّمَا كَانَتْ كَذَلِكَ وَلَكِنْ لَمْ أَكُنْ أَذْرِكُ الْأَمْرَ ، وَلَنْ أَعْرِفَ
الْحَقِيقَةَ أَبَدًا .

هَلْ تَعْتَقِدُونَ فِي وُجُودِ الْأَشْبَاحِ ؟ حَقِيقَةُ كَتَبْتُ عَدَدًا مِنْ قِصَصِ
الْأَشْبَاحِ ، إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَتَعَدَّ كَوْنَهَا مُجَرَّدَ قِصَصٍ . وَلَمْ أَكُنْ أَعْتَقِدُ فِي
وُجُودِ الْأَشْبَاحِ ، وَمَازَلْتُ غَيْرَ مُتَأَكِّدٍ مِنْ وُجُودِهَا ، إِلَّا أَنِّي عَلَى يَقِينٍ
مِنْ أَمْرِ وَاحِدٍ ، وَهُوَ أَنَّ فِي حُجْرَةِ نَوْمِي شَبَحًا كَثِيرَ الضَّوْضَاءِ وَلَنْ أُضِيفَ
شَيْئًا آخَرَ إِلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ .

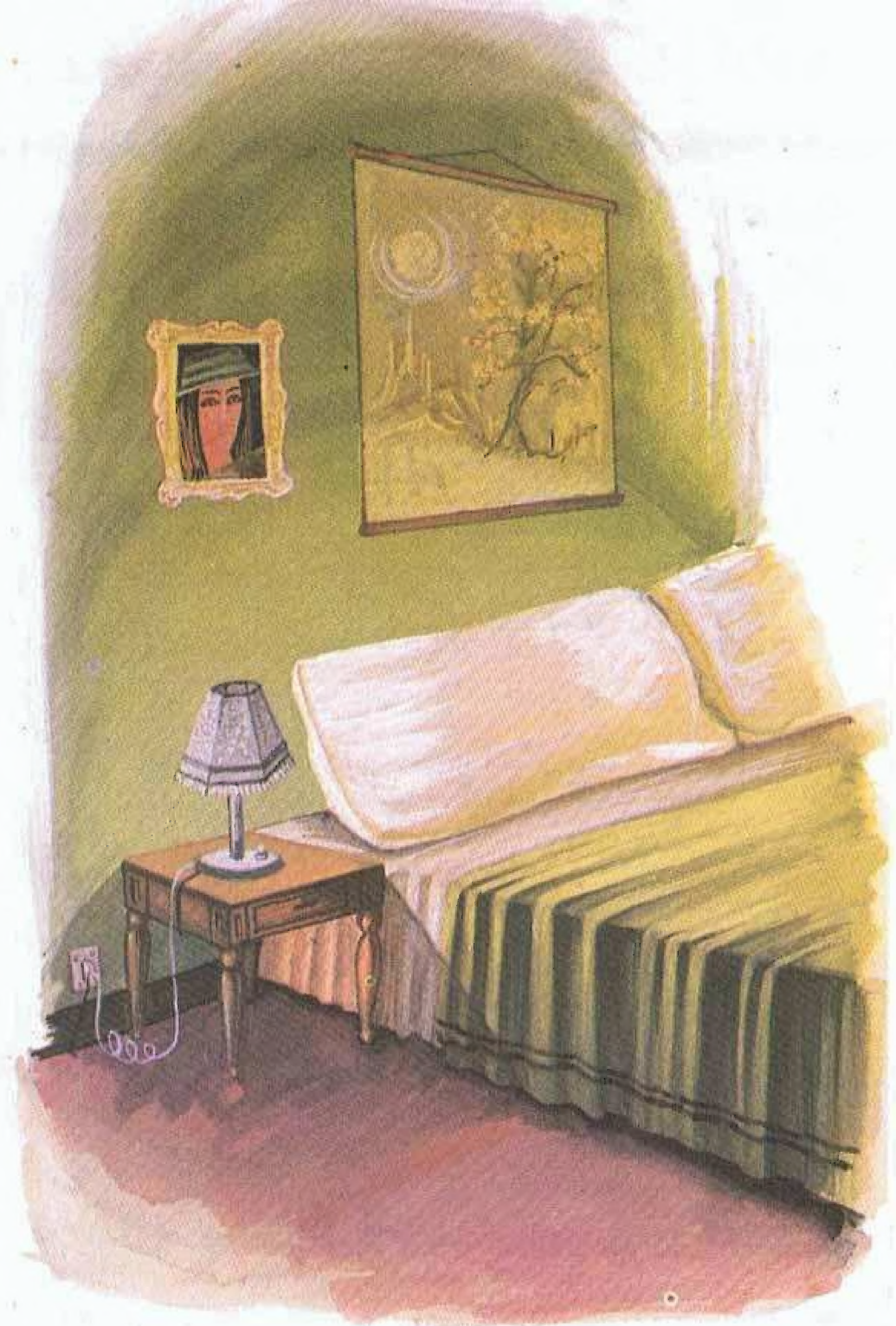
إِلَيْكُمْ بَعْضَ التَّفْصِيلَاتِ عَنْ حُجْرَةِ نَوْمِي ، فَلَا بُدَّ لَكُمْ أَنْ تُلِمُّوا بِهَا
قَبْلَ أَنْ أُرْوِيَ قِصَّتِي . فَفِي حُجْرَتِي سَرِيرٌ كَبِيرٌ مُزْدَوِجٌ . نَعَمْ ، إِنَّهُ هُوَ

السَّرِيرُ الْمَزْدُوجُ الَّذِي كُنَّا نَنَامُ عَلَيْهِ أَنَا وَجُولِي . وَيَسْتَنِدُ رَأْسُ السَّرِيرِ إِلَى
الْحَائِطِ ، وَمِنْ عَادَتِي أَنْ أَنَامَ عَلَى أَحَدِ جَانِبِي السَّرِيرِ ، الْجَانِبِ نَفْسِهِ الَّذِي
كُنْتُ أَشْغَلُهُ دَائِمًا . وَتَوَجَّدُ بِجَانِبِ السَّرِيرِ مِنْضَدَةٌ صَغِيرَةٌ عَلَيْهَا مِصْبَاحُ
جَانِبِي (أَبَاجُورَةٌ) . وَبِالْقُرْبِ مِنْ أَرْضِيَّةِ الْحُجْرَةِ مَقْبَسُ (بَرِيزَةٌ)
لِلْإِنَارَةِ ، وَيَتَّصِلُ بِالْمِصْبَاحِ الْجَانِبِيِّ سِلْكٌ طَوِيلٌ يَنْتَهِي بِقَابِسٍ مُنَاسِبٍ
لِلْمَقْبَسِ .

لَا تَسْخَرُ مِنْ ذِكْرِ كُلِّ هَذِهِ التَّفَاصِيلِ ، فَهِيَ مُهِمَّةٌ جِدًّا ، وَلَنْ يَمْضِيَ
وَقْتُ طَوِيلٍ ، حَتَّى تَعْرِفَ السَّبَبَ .

فِي إِحْدَى لَيَالِي الشِّتَاءِ الْمُظْلِمَةِ كُنْتُ أَقْرَأُ فِي الْفِرَاشِ ، وَلَمْ يَكُنْ
الْكِتَابُ مُمْتِعًا ، فَشَعَرْتُ بِالنُّعَاسِ . وَعَادَةً مَا أُطْفِئُ النُّورَ عِنْدَمَا أَشْعُرُ
بِرَغْبَتِي فِي النَّوْمِ (لِلْمِصْبَاحِ مِفْتَاحٌ أَيْضٌ صَغِيرٌ) ، إِلَّا أَنَّهُ فِي تِلْكَ
الْلَّيْلَةِ - وَلَا أَدْرِي السَّبَبَ - لَمْ أُطْفِئِ الْمِصْبَاحَ بِالطَّرِيقَةِ الْعَادِيَّةِ ، بَلْ مِلْتُ
بِجِسْمِي عَلَى حَافَةِ السَّرِيرِ ، وَجَذَبْتُ الْقَابِسَ مِنَ الْمَقْبَسِ . لِمَ فَعَلْتُ
ذَلِكَ ؟ ! مَا زِلْتُ لَا أَدْرِي !

لَقَدْ كَانَ مَا فَعَلْتُهُ شَيْئًا مُضْحِكًا . وَفِي اللَّحْظَةِ الَّتِي جَذَبْتُ فِيهَا الْقَابِسَ
لَمْ أَعُدْ أَشْعُرُ بِمَيْلٍ لِلنَّوْمِ ، وَوَجَدْتُ نَفْسِي يَقْظًا تَمَامًا . وَكَانَتْ الْحُجْرَةُ
مُظْلِمَةً ، حَالِكَةُ الظَّلَامِ ، وَمَعَ هَذَا كَانَتْ عَيْنَايَ مَفْتُوحَتَيْنِ عَلَى
اتِّسَاعِيهِمَا .



سَقَطَ كِتَابِي عَلَى أَرْضِيَّةِ الْحُجْرَةِ ، بَلِ اصْطَدَمَ بِالْأَرْضِيَّةِ مُحْدِثًا صَوْتًا عَالِيًا ، غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَتَبَّهْ لِذَلِكَ . وَانْتَصَبْتُ فِي جِلْسَتِي عَلَى السَّرِيرِ فَاتَحَا عَيْنَيَّ ، وَأَسْنَدْتُ ظَهْرِي إِلَى رَأْسِ السَّرِيرِ ، وَحَمَلْتُ فِي الْحُجْرَةِ الْمُظْلِمَةِ ؛ وَبِالطَّبَعِ لَمْ أَرَشِيئًا . وَلَكِنْ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ كُنْتُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ وُجُودِ شَخْصٍ فِي الْحُجْرَةِ . لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَيْنَ بِالتَّحْدِيدِ ، وَلَكِنْ هَذَا الرَّجُلُ .. أَوْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ أَوْ هَذَا الَّذِي لَا أَعْرِفُ كُنْهَهُ .. كَانَ فِي مَكَانٍ مَا أَمَامِي . مَرَّتْ دَقَائِقُ عَدِيدَةٍ ، وَحَمَلْتُ فِي الظَّلَامِ ، وَانْتَظَرْتُ .. وَلَكِنِّي كُنْتُ لَا أَزَالُ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى رُؤْيَةِ شَيْءٍ .

لَمْ أَكُنْ خَائِفًا ، فَالشَّخْصُ الَّذِي كَانَ بِالْحُجْرَةِ كَانَ وَدُودًا لِلْغَايَةِ ، وَقَدْ كُنْتُ سَعِيدًا . وَلَمْ أَكُنْ أَسْمَعُ شَيْئًا ، وَلَكِنْ كَانَ الضَّحِكُ يَمْلَأُ جَوَّ الْحُجْرَةِ . وَصَحْتُ : « مَنْ هُنَاكَ ؟ مَنْ هَذَا ؟ » فَلَمْ أَتَلَقَّ جَوَابًا ! وَانْتَظَرْتُ طَوِيلًا .

كَانَ الشَّخْصُ الَّذِي بِالْحُجْرَةِ صَدِيقًا ، صَدِيقًا عَزِيزًا ، وَكُنْتُ أَتْلَهْفُ لِلِقَاءِ هَذَا الصَّدِيقِ . فَلَعَلِّي أَرَاهُ إِذَا مَا أَضَاءَ النُّورُ .

دَارَتْ فِي رَأْسِي هَذِهِ الْفِكْرَةُ ، ثُمَّ تَذَكَّرْتُ أَنِّي لَمْ أَسْتَخْدِمِ الْمِفْتَاحَ ، بَلْ جَذَبْتُ الْقَابِسَ وَأَخْرَجْتُهُ مِنَ الْمَقْبَسِ . وَعَلَى ذَلِكَ مِلْتُ عَلَى حَافَةِ السَّرِيرِ ، وَدَفَعْتُ بِالْقَابِسِ دَاخِلَ الْمَقْبَسِ ؛ فَانْتَشَرَ النُّورُ . كَانَتْ

الْحُجْرَةُ خَالِيَةً ، وَكُنْتُ أَشْعُرُ بِذَلِكَ ، وَكُنْتُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّ « الشَّخْصَ » قَدْ رَحَلَ .

قُمْتُ بِجَذْبِ الْقَابِسِ مَرَّةً أُخْرَى وَانْتَظَرْتُ .. لَاشَيْءٍ ، مَا زَالَتْ الْحُجْرَةُ خَالِيَةً . دَفَعْتُ بِالْقَابِسِ دَاخِلَ الْمَقْبَسِ ؛ فَغَمَرَ النُّورُ الْحُجْرَةَ مَرَّةً أُخْرَى . مَا مِنْ أَحَدٍ أَيْضًا ! أَطْفَأْتُ النُّورَ (بِاسْتِخْدَامِ الْمِفْتَاحِ) ؛ وَلَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ أَيْضًا . كُنْتُ وَحِيدًا ، رَحَلَ عَنِّي صَدِيقِي . بَقِيَتْ مُسْتَقِظًا لِسَاعَاتٍ عَدِيدَةٍ ، وَبَدَأْتُ أَفَكِّرُ : إِنَّهُ شَيْخٌ كَثِيرُ الضَّوْضَاءِ حَقًّا .

وَفِي الْحَالِ طَرَأَ عَلَى ذَهْنِي اسْمُ بُولَدِي ، وَنَادَيْتُ : بُولَدِي ! بُولَدِي ! غَيْرَ أَنَّ الَّذِي أَنَادِيهِ لَمْ يَرْجِعْ . فِي النِّهَايَةِ اسْتَسْلَمْتُ لِلنَّوْمِ . لَقَدْ أَدْرَكْتُ أَنَّ شَيْئًا هَامًا قَدْ حَدَثَ لِي ، هَذَا الشَّيْءُ هُوَ لِقَائِي الْأَوَّلُ بِالشَّيْخِ الصَّدِيقِ ، لِقَائِي مَعَ بُولَدِي ، وَكَانَتْ الْبَدَايَةُ !

الفصل الثاني

اللغة

اِسْتَيْقَظْتُ مِنْ نَوْمِي صَبَاحَ الْيَوْمِ التَّالِي فِي سَاعَةِ مُتَأَخِّرَةٍ ، وَكَانَتْ شَمْسُ الشِّتَاءِ الْبَارِدَةِ تُضِيءُ حُجْرَتِي . وَجَلَسْتُ فِي الْفِرَاشِ ، وَأَخَذْتُ أَفَكِّرُ فِي أَحْدَاثِ اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ : هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ حَدِثَتْ بِالْفِعْلِ ؟ أَمْ كَانَتْ كُلُّهَا حُلْمًا ؟ نَظَرْتُ إِلَى حَافَةِ السَّرِيرِ . نَعَمْ ، الْكِتَابُ مازالَ فِي مَكَانِهِ عَلَى أَرْضِيَّةِ الْحُجْرَةِ . لَقَدْ اسْقَطْتُهُ هُنَاكَ اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ . انْتَقَلْتُ بِصَرِي إِلَى الْمِصْبَاحِ وَالْقَابِسِ . الْقَابِسُ مازالَ فِي مَقْبِسِهِ .. نَعَمْ ، لَقَدْ دَفَعْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَقْبِسِ اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ . كَانَتْ كُلُّ التَّفَاصِيلِ صَحِيحَةً .

نَهَضْتُ مِنَ الْفِرَاشِ بِطُءٍ ، وَاغْتَسَلْتُ وَتَنَاوَلْتُ الْإِفْطَارَ ، ثُمَّ تَوَجَّهْتُ إِلَى حُجْرَةِ مَكْتَبِي (وَتَذَكَّرْتُ أَنَّي كُنْتُ مُتَهِمَكًا فِي كِتَابَةِ قِصَّةِ بُولِيسِيَّةٍ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ) . وَسَرَّعَانَ مَا اسْتَعْرَفْتُ مُغَامِرَاتُ فِيلِبَرْتِ وَأَيْلِي يَوْمِي بِأَكْمَلِهِ ؛ فَتَسَيَّتُ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ مُغَامِرَاتِ اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ .

انْتَهَيْتُ مِنْ عَمَلِي فِي وَقْتٍ مُبَكِّرٍ . وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّي لَمْ أَشْعُرْ بِمَيْلٍ لِلنَّوْمِ ، فَإِنِّي ذَهَبْتُ إِلَى الْفِرَاشِ مُبَكِّرًا . كَانَتْ السَّاعَةُ الْعَاشِرَةَ . جَلَسْتُ فِي الْفِرَاشِ ، وَبَدَأْتُ أَفَكِّرُ فِي أَحْدَاثِ اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ . وَلَمْ تَكُنْ لِي رَغْبَةٌ فِي الْقِرَاءَةِ ؛ فَجَلَسْتُ فِي هُدُوءٍ ، وَتَرَكْتُ نَوْرَ الْحُجْرَةِ مُضَاءً ،

ثُمَّ أَطْفَأْتُهُ بِحَذَرٍ (بِاسْتِخْدَامِ مِفْتَاحِ الْمِصْبَاحِ) ، وَانْتَظَرْتُ .. حَمَلَقْتُ فِي الْحُجْرَةِ الْمُظْلِمَةِ ، وَلَكِنْ لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ قَطُّ .

كَانَتْ الْحُجْرَةُ خَالِيَةً ، أَوْ هَكَذَا كَانَتْ تَبْدُو . وَبَدَأَ لِي الْأَمْرُ سَخِيفًا ، فَأَضَاءْتُ النُّورَ مَرَّةً أُخْرَى وَتَنَاوَلْتُ كِتَابًا .. كِتَابًا عَنْ مَوْضُوعٍ مُشِيرٍ هَذِهِ الْمَرَّةَ ، وَمَضَيْتُ فِي الْقِرَاءَةِ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ . وَبَدَأْتُ أَشْعُرُ بِمَيْلٍ لِلنَّوْمِ ؛ فَوَضَعْتُ الْكِتَابَ عَلَى الْمِنْضَدَةِ بِجِوَارِ السَّرِيرِ ، ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّ أَطْفَأُ النُّورَ ، إِلَّا أَنَّنِي لَمْ أَسْتَخْدِمِ الْمِفْتَاحَ - لَا أَدْرِي لِمَاذَا - بَلْ مِلْتُ بِجِسْمِي عَلَى حَافَةِ السَّرِيرِ وَتَنَاوَلْتُ السُّلْكَ ، ثُمَّ الْقَابِسَ فِي نَهَائِيهِ ؛ فَجَذَبْتُهُ خَارِجَ الْمَقْبِسِ . وَمَا إِنِ انْتَهَيْتُ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى أَدْرَكْتُ أَنَّ بُولْدِي مُوْجُودٌ . لَقَدْ كَانَ الشَّيْخُ الصَّدِيقُ فِي مَكَانٍ مَا بِالْحُجْرَةِ ، وَنَادَيْتُهُ : « بُولْدِي ! » وَلَكِنْ مَا مِنْ إِجَابَةٍ ! حَمَلَقْتُ فِي الظَّلَامِ ، ثُمَّ تَرَكْتُ الْفِرَاشَ وَسِرْتُ فِي الْحُجْرَةِ . وَكُنْتُ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ بُولْدِي فِي الْحُجْرَةِ .

وَفِي النِّهَايَةِ رَجَعْتُ إِلَى الْفِرَاشِ ، وَمِلْتُ عَلَى جَانِبِ السَّرِيرِ ، وَدَفَعْتُ بِالْقَابِسِ إِلَى دَاخِلِ الْمَقْبِسِ ؛ فَغَمَرَ الضُّوْءُ الْحُجْرَةَ ، وَكَانَ بُولْدِي قَدْ اخْتَفَى . وَعِنْدَمَا أَطْفَأْتُ النُّورَ مَرَّةً أُخْرَى (بِاسْتِخْدَامِ الْمِفْتَاحِ) لَمْ يَعُدْ ثَانِيَةً . وَقُمْتُ بِإِضَاءَةِ النُّورِ وَإِطْفَائِهِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ ؛ فَفَرَرْتُ أَنْ أَخْلُدَ إِلَى النَّوْمِ .

تَوَصَّلْتُ فِي اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ إِلَى اكْتِشَافِ هَامٍ ، لَعَلَّهُ أَوَّلُ اكْتِشَافٍ هَامٍ



لي ، ثلثه عدة اكتشافات . ذهبت إلى الفراش في وقتي المعتاد ، ولم أقرأ شيئاً ، بل أطفأت النور (باستخدام المفتاح) وانتظرت بولدي ، لكنه لم يظهر .. إلا أنه سرعان ما ظهر عندما جذبت القابس من المقبس . شعرت بوجوده ، وعندما دفعت بالقابس في المقبس اختفى . هذا هو اكتشافي الهام : لا يظهر بولدي إطلاقاً عند استخدامي لمفتاح المصباح ، بل يظهر فقط عند جذبي للقابس من المقبس ، وهو لا يظهر إلا مرة واحدة . وعندما أعيد القابس إلى مكانه في المقبس يختفي بولدي ولا يرجع .

قمت بتجربة هذه الخطوات في الليلة التالية . جذبت القابس من المقبس في اللحظة التي توجهت فيها للفراش ، فظهر بولدي ، ولما

أرجعت القابس إلى مكانه في المقبس ، وانتشر النور ، اختفى بولدي وجذبت القابس خارج المقبس مرة أخرى فلم يظهر بولدي . قمت بعد كل ذلك بدفع القابس وجذبه عدة مرات ، إلا أن شيئاً لم يحدث إطلاقاً .

وهكذا أدركت أن بولدي لا يأتي إلا مرة واحدة فقط ، ويكون ذلك عندما أجدب القابس خارج المقبس ، ويختفي لحظة إعادة القابس إلى مكانه .

وقد ظلت ليالي كثيرة بعد هذا مستمتعة بصحبة بولدي ، بل إنني كنت أحياناً أجلس معه في الحجرة المظلمة لعلني كنت أستمتع بما لدي من سلطان ونفوذ ، ففي إمكاني استدعاؤه إلى الحجرة أو صرفه منها باستخدام قابس النور . إلا أنني لا أستطيع القيام بذلك إلا مرة واحدة . وبإمكاني إبقاء القابس مسحوباً ساعات وساعات فأسعد بصحبة بولدي بالحجرة . وكثيراً ما كنت أناديه ؛ إلا أنه لم يكن يأتي قط بأية إشارة تدل ، على وجوده ! كنت أشعر فقط بوجوده ، فلم تكن هناك أية إشارة أخرى .

لم أخبر أحداً قط بأمر بولدي . كان لويس يحضر كل يوم أربعاء لتلعب معاً الشطرنج ، ومع هذا لم أخبره قط بسري . وفي أحد أيام الأربعاء فوجئت بلويس يقول لي : « تبدو بصحة جيدة يا ولديم .. تبدو

دَائِمًا مُبْتَسِمًا وَسَعِيدًا . وَمِنْ دَوَاعِي سُرُورِي أَنْ أَرَكَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ .
لَعَلَّ فِي حَيَاتِكَ سِرًّا . « وَلَمْ يَسْغَنِي إِلَّا أَنْ أَبْتَسِمَ وَأَصْمُتَ .

كَانَ مَقَالُهُ لُيُوسَ صَحِيحًا بِطَبِيعَةِ الْحَالِ ، فَقَدْ كَانَ هُنَاكَ سِرٌّ فِي
حَيَاتِي ، إِلَّا أَنِّي لَمْ أُخْبِرْ لُيُوسَ عَنْهُ فَإِنَّا أُدْرِكُ تَمَامًا أَنَّهُ أَعَزُّ صَدِيقٍ ، بَلْ
صَدِيقِي الْوَحِيدُ ، وَلَكِنِّي لَا أَعْتَقِدُ أَنَّ فِي مَقْدُورِهِ فَهْمَ أَشْيَاءٍ أَوْ أُمُورٍ مِنْ
هَذَا الْقَبِيلِ .

نِعِمْتُ بِصُحْبَةِ بُولْدِي عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ لِمُدَّةٍ سَنَةٍ تَقْرِيًا ، وَإِذَا بِشَيْءٍ
غَرِيبٍ يَحْدُثُ فِي إِحْدَى اللَّيَالِي .. كُنْتُ قَدْ جَذَبْتُ الْقَابِسَ خَارِجَ
الْمَقْبَسِ ، وَكَانَ بُولْدِي فِي الْحُجْرَةِ ، وَكُنْتُ جَالِسًا فِي الْفِرَاشِ ، وَنَادَيْتُهُ
« بُولْدِي ! » وَإِذَا بِهِ يُعْطِنِي أَوَّلَ إِشَارَةٍ تُدَلُّ عَلَى وُجُودِهِ : سَمِعْتُ طَرَقَةً
كَانَتْ صَادِرَةً مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ لِلْحُجْرَةِ ، ثُمَّ سَمِعْتُ طَرَقَةً أُخْرَى ..
وَأُخْرَى ! كَانَ صَوْتُ الطَّرَقَاتِ يَرْتَفِعُ بِالتَّدْرِيجِ ، وَيَقْتَرِبُ شَيْئًا فَشَيْئًا مِنْ
فِرَاشِي ، ثُمَّ تَوَقَّفَتِ الطَّرَقَاتُ . لَمْ أَكُنْ خَائِفًا ، بَلْ كُنْتُ — فِي الْوَاقِعِ —
أَضْحَكُ ! وَعَادَتِ الطَّرَقَاتُ تُسْمَعُ مَرَّةً أُخْرَى ، إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ فِي هَذِهِ
الْمَرَّةِ تَتَحَرَّكُ مُتَبَعِدَةً عَنْ سَرِيرِي إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ لِلْحُجْرَةِ . كَانَتْ
الطَّرَقَةُ غَرِيبَةً .. كَيْفَ أَصِفُهَا ؟ ! حَسَنًا ، كَانَتْ أَشْبَهَ بِمَشْيِ شَخْصٍ ذِي
رِجْلٍ خَشَبِيَّةٍ ، كَأَنَّهَا وَقَعَ رِجْلُ خَشَبِيَّةٍ عَلَى أَرْضِيَّةِ الْحُجْرَةِ ، كَأَنَّهَا
لِشَخْصٍ يَعْرُجُ . عِنْدَمَا يَسِيرُ رِجْلُ أَعْرَجٍ ، فَإِنَّكَ تَسْمَعُ فِي خَطْوِهِ نَقْرًا

مُنْتَظِمًا . لَقَدْ غَمَرَتْنِي السَّعَادَةُ ، فَأَخِيرًا تَلَقَّيْتُ إِشَارَةً مِنْ بُولْدِي ، وَأَصْبَحَ
فِي اسْتِطَاعَتِي الْآنَ أَنْ أَشْعُرَ بِوُجُودِهِ ، وَكَذَلِكَ أَسْمَعُ . وَقُلْتُ فِي نَفْسِي
إِنَّهُ الْآنَ يَثْقُ بِي ، فَأَعْطَانِي لِذَلِكَ إِشَارَةً تُدَلُّ عَلَى وُجُودِهِ .

كُنْتُ أَعْمَلُ كُلَّ يَوْمٍ بِطَرِيقَتِي الْمُعْتَادَةِ ، وَلَكِنَّ حَيَاتِي الْآنَ أَصْبَحَتْ
مُخْتَلِفَةً .. فَقَدْ أُمْسَيْتُ أَسْتَمِيعُ كُلَّ لَيْلَةٍ بِصُحْبَةِ بُولْدِي ، وَبَدَأَتْ ثِقَتُهُ بِي
تَزْدَادُ شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَبَدَأَ يُعْطِنِي إِشَارَاتٍ مُخْتَلِفَةً تُدَلُّ عَلَى وُجُودِهِ : أَحْيَانًا
يَهْزُ سَرِيرِي ؛ فَأَضْحَكُ ؛ فَيَعْمِدُ إِلَى هَزِّهِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَأَحْيَانًا يَهْزُ كُرْسِيًّا
فِي حُجْرَتِي . نَعَمْ ، كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَهْتَزُّ . وَأَحْيَانًا يُلْقِي بِالْأَشْيَاءِ هُنَا وَهُنَا
فِي الْحُجْرَةِ . صَحِيحٌ ، لَا أَسْتَطِيعُ رُؤْيَةَ ذَلِكَ فِي الظُّلَامِ ، وَلَكِنِّي
أَسْتَطِيعُ — بِكُلِّ تَأَكِيدٍ — أَنْ أَسْمَعَ أَصْوَاتَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ . وَفِي إِحْدَى
الْمَرَّاتِ انْطَلَقْتُ فُرْشَاةَ الشَّعْرِ أَمَامَ وَجْهِ تَمَامًا . وَأَحْيَانًا يَعْمِدُ بُولْدِي إِلَى
فَتْحِ بَابِ حُجْرَةِ نَوْمِي ، ثُمَّ يُغْلِقُهُ ، وَكَانَ يَقُومُ بِذَلِكَ بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ عِدَّةَ
مَرَّاتٍ . وَأَحْيَانًا يَقُومُ بِحِيلٍ صَغِيرَةٍ .. فَقَدْ وَجَدْتُ — ذَاتَ مَرَّةٍ — قَمِيصِي
مُلْتَقًى عَلَى الْفِرَاشِ ، بَلْ وَفِي مَرَّةٍ أُخْرَى وَجَدْتُ جِذَائِي عَلَى الْفِرَاشِ .
وَكَُنْتُ دَائِمًا أَضْحَكُ مِنْ هَذِهِ الْحِيلِ وَالْأَلَاغِيبِ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ بُولْدِي كَانَ
يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَ الضَّحْكَ ، فَعِنْدَمَا كُنْتُ أَضْحَكُ كَانَ يُدُقُّ عَلَى النَّافِذَةِ ،
أَوْ يَهْزُ سَرِيرِي .

لَقَدْ حَاوَلْتُ - بِكُلِّ جَهْدِي - أَنْ أَرَاهُ ، فَكُنْتُ أُحْمِلُ فِي الْحَجَرَةِ
الْمُظْلِمَةِ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَرْ شَيْئًا عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَمَعَ هَذَا كُنْتُ أَشْعُرُ
بُوجُودِهِ ، وَكُنْتُ - بِالتَّأَكُّيدِ - أَسْمَعُهُ . وَعِنْدَمَا كُنْتُ أَسْأَلُ مِنْ كُلِّ هَذِهِ
الْأَلَاغِيبِ ، كُنْتُ أَلْجَأُ إِلَى دَفْعِ الْقَابِسِ مَرَّةً أُخْرَى فِي مَكَانِهِ مِنْ
الْمَقْبَسِ ؛ فَيُضِيءُ الْمِصْبَاحُ وَيَخْتَفِي بُوْلَدِي ، ثُمَّ أَطْفِئُ النُّورَ وَأَخْلُدُ
لِلنُّوْمِ .

فِي إِحْدَى اللَّيَالِي تَوَصَّلْتُ إِلَى اكْتِشَافِي الثَّانِي الْهَامِّ . كَانَ بُوْلَدِي فِي
حُجْرَتِي ، وَأَخَذَ يَسِيرُ بِعَرَجٍ نَحْوَ سَرِيرِي ، ثُمَّ يَتَّعِدُ عَنْهُ .. وَكَرَّرَ ذَلِكَ
عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، كَانَ فِي أَثْنَائِهَا يَهْزُ سَرِيرِي وَيَطْرُقُ بَابِي . وَشَعَرْتُ بَعْدَ كُلِّ
ذَلِكَ بِمَيْلٍ شَدِيدٍ لِلنُّوْمِ ، فَفَكَّرْتُ أَنْ أُعِيدَ الْقَابِسَ إِلَى الْمَقْبَسِ ؛ فَيُضِيءُ
الْمِصْبَاحُ وَيَخْتَفِي بُوْلَدِي ، ثُمَّ أَطْفِئُ الْمِصْبَاحَ وَأَسْتَسْلِمُ لِلنُّوْمِ . وَفِعْلًا ،
مِلْتُ بِجِسْمِي عَلَى حَافَةِ السَّرِيرِ ، وَأَمْسَكْتُ الْقَابِسَ .. وَفَجْأَةً جَذَبَ
بُوْلَدِي السَّلْكَ ؛ فَافْلَتَ الْقَابِسُ مِنْ يَدِي ، وَاضْطَرَبْتُ إِلَى الْبَحْثِ عَنْ
الْقَابِسِ - وَلَمْ يَكُنْ هَذَا بِالْأَمْرِ الْيَسِيرِ - ثُمَّ وَضَعْتُهُ فِي الْمَقْبَسِ ، وَلَكِنِّي
خَرَجْتُ بِاِكْتِشَافٍ هَامٍّ : لَمْ يَكُنْ بُوْلَدِي يَرْغَبُ فَقَطْ فِي إِعْطَائِي بَعْضَ
الْأَمَارَاتِ عَنْ وُجُودِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَرْغَبُ فَقَطْ فِي أَنْ يَقُومَ بِبَعْضِ
الْأَلَاغِيبِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَرْغَبُ فِي أَنْ يُشَارِكَنِي فِي لُغَةِ مَا .

تَمَكَّنَّا مَعًا - فِي النِّهَايَةِ - مِنْ اخْتِرَاعِ هَذِهِ اللَّغَةِ .. لُغَةِ الْقَابِسِ
وَالضُّوءِ !

كَانَتْ قَوَاعِدُ اللَّغَةِ بَسِيطَةً لِلْغَايَةِ ، وَلَكِنَّهَا أَخَذَتْ مِنَّا وَقْتُاً طَوِيلًا حَتَّى
أَرْسَيْنَاهَا ، بَلْ يُمَكِّنُنِي الْقَوْلُ إِنَّ هَذِهِ الْقَوَاعِدَ ثُمَّ التَّوَصَّلُ إِلَيْهَا شَيْئًا فَشَيْئًا ،
وَكَانَتْ عَلَى النَّحْوِ التَّالِيِ :

القاعدة الأولى : تَوَجَّهْتُ إِلَى الْفِرَاشِ وَالنُّورِ مَازَالُ مُضَاءً .

القاعدة الثانية : جَذَبْتُ الْقَابِسَ مِنْ مَقْبَسِهِ وَظَهَرَ بُوْلَدِي ، وَلَمْ أَشْعُرْ
فَقَطْ بِبُوجُودِهِ - فَقَدْ كَانَ دَائِمًا يُعْطِينِي إِشَارَةً وَاضِحَةً - وَإِنَّمَا كُنْتُ أَسْمَعُ
وَقَعَ خُطُوتِهِ فِي الْجَانِبِ الْآخِرِ لِلْحُجَرَةِ .

القاعدة الثالثة : كَانَ بُوْلَدِي بَعْدَ ذَلِكَ يَسِيرُ بِعَرَجٍ نَحْوَ سَرِيرِي ،
وَكَانَ عَلَيَّ أَنْ أُعِيدَ الْقَابِسَ إِلَى الْمَقْبَسِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى السَّرِيرِ ، وَكَانَ
عَلَى بُوْلَدِي أَنْ يَصِلَ إِلَى سَرِيرِي قَبْلَ أَنْ أَتِمَّكَنَ مِنْ إِعَادَةِ الْقَابِسِ إِلَى
مَوْضِعِهِ .

كَانَتْ هَذِهِ هِيَ اللَّغَةُ ، فَإِذَا مَاتِمَكُنْ بُوْلَدِي مِنَ الْوُصُولِ إِلَى سَرِيرِي
قَبْلَ أَنْ أُضَعَّ الْقَابِسَ فِي الْمَقْبَسِ ، كَانَ هُوَ الْفَائِزُ ، فَيَهْزُ سَرِيرِي وَتَبْدَأُ
اللُّغَةُ مِنْ جَدِيدٍ . أَمَّا إِذَا تَمَكَّنْتُ مِنْ وَضْعِ الْقَابِسِ أَوَّلًا ، كُنْتُ أَنَا الْفَائِزُ
فِي هَذِهِ الْمُبَارَاةِ ؛ فَيَخْتَفِي بُوْلَدِي مَعَ إِنْارَةِ الْمِصْبَاحِ وَلَا يَعُودُ مَرَّةً
أُخْرَى .

كُنَّا نَلْعَبُ هَذِهِ اللَّعْبَةَ كُلَّ لَيْلَةٍ وَلِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ اسْتَمَرَّتْ سِتِّينَ تَقْرِيبًا ..
كَانَ بُولَدِي عَادَةً مَا يَفُوزُ عِدَّةَ مَرَّاتٍ كُلَّ لَيْلَةٍ ، وَكُنْتُ أَسْتَعْرِقُ فِي
الضُّحَى عِنْدَمَا نَنْهَمِكُ فِي اللَّعِبِ . لَقَدْ كَانَتْ لَعْبَةٌ مُمْتَعَةً جِدًّا . وَفَجْأَةً ..
إِذَا بِأَمْرِ يَحْدُثُ فَيَبْعُدُ بِاللُّعْبَةِ عَنْ سَبِيلِهَا الْمُعْتَادِ . وَلَا أَدْرِي مَاذَا حَدَثَ
وَلَا كَيْفَ حَدَثَ ، وَلَكِنِّي عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّ شَيْئًا مَا أَفْسَدَ اللَّعْبَةَ .

الفصل الثالث

مباراة في الشطرنج

نَبَّهَنِي لُويْسُ بِقَوْلِهِ : « إِنَّهُ دَوْرُكَ الْآنَ فِي اللَّعِبِ . »
أَجَبْتُهُ مُنْذِهِشًا : « دَوْرِي ؟ لَقَدْ حَرَكْتُ قِطْعَتِي مِنْذُ لَحْظَةٍ . »
قَالَ لُويْسُ مُشِيرًا إِلَى الرُّقْعَةِ : « لَمْ تَفْعَلْ ، بَلْ أَنَا الَّذِي انْتَهَيْتُ حَالًا
مِنْ تَحْرِيكِ قِطْعَتِي . إِنَّهُ الْآنَ دَوْرُكَ . »

قُلْتُ بِحِدَّةٍ : « لَا تُكُنْ سَخِيفًا يَا لُويْسُ ، إِنِّي أَعْرِفُ تِمَامَ الْمَعْرِفَةِ مَا
إِذَا كُنْتُ قَدْ حَرَكْتُ أَمْ لَمْ أَحْرِكْ قِطْعَتِي . »
قَالَ لُويْسُ مُكْرَّرًا : « حَسَنًا ، إِنَّكَ لَمْ تُحْرِكْ قِطْعَتَكَ ، وَهُوَ دَوْرُكَ
الْآنَ ، أَلَا حِظُّ أَنتَ لَا تَتَابَعُ اللَّعْبَةَ يَا وَلِيْمَ . »

صَبَحْتُ فَجْأَةً : « اللَّعْبَةُ ؟ أَيَّةُ لَعْبَةٍ ؟ مَنْ أَخْبَرَكَ عَنِ اللَّعْبَةِ ؟ مَاذَا تَعْرِفُ
عَنِ اللَّعْبَةِ ؟ إِنِّي لَمْ أَخِيرْ أَحَدًا قَطُّ عَنِ اللَّعْبَةِ ، فَهِيَ سِرِّي الْخَاصُّ ، هَلْ
تَعْنِي مَا أَقُولُ ؟ إِنَّهَا سِرٌّ أُحْتَفِظُ بِهِ لِنَفْسِي ... بَلْ أُحْتَفِظُ أَنَا وَبُولَدِي بِهِ ..
فَنَحْنُ ... » كُنْتُ أَصِيحُ ، وَكُنْتُ أَسْمَعُ صَوْتِي .. وَتَوَقَّفْتُ فَجْأَةً ..
وَكَانَ لُويْسُ يَنْظُرُ إِلَيَّ بِطَرِيقَةٍ غَرِيبَةٍ .

« هَلْ هُنَاكَ مَا تَوَدُّ أَنْ تُخْبِرَنِي بِهِ يَا وَلِيْمَ ؟ »

« مَاذَا ؟ »

« هَلْ تُرِيدُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِشَيْءٍ ؟ لَا بُدَّ أَنَّكَ تُفَكِّرُ فِي أَمْرِ مَا . »
 قُلْتُ : « لَا أَفَكِّرُ فِي أَيِّ شَيْءٍ . » كَانَ لَا بُدَّ لِي مِنْ أَنْ أُضَيِّطَ
 نَفْسِي ، وَنَظَرْتُ فِي عَيْنَيْ لُيْسٍ قَائِلًا : « أَنْتَ عَلَى صَوَابٍ ، هُنَاكَ
 شَيْءٌ يَشْغُلُ فِكْرِي . إِنَّهَا قِصَّةٌ فِيلْبَرْتٍ وَائِلِي الْجَدِيدَةُ ، فَهِيَ تَشْغُلُ
 تَفْكِيرِي كُلَّ الْوَقْتِ ، وَهِيَ قِصَّةٌ تَدُورُ حَوْلَ لُغْبَةِ ، وَيَنْشَغُلُ تَفْكِيرِي
 بِهَذِهِ اللَّغْبَةِ دَائِمًا .. آسِفٌ عَمَّا بَدَرَ مِنِّي مِنْذُ لَحْظَةٍ . »

قَالَ لُيْسُ مُهْدِدًا مِنْ رَوْعِي : « لَا بُدَّ أَنْ قِصَّتَكَ مُشَوِّقَةٌ لِلْغَايَةِ ، وَلَكِنَّا
 آلَانَ نَلْعَبُ الشَّطْرَنْجَ ! »

قُلْتُ : « نَعَمْ ، لَا بُدَّ أَنْ أُضَيِّطَ نَفْسِي . »

سَأَلَنِي لُيْسُ : « مَنْ .. مَنْ بُولَدِي هَذَا ؟ »

قُلْتُ صَائِحًا : « بُولَدِي ؟ مَاذَا تَعْرِفُ عَنْ بُولَدِي ؟ مَنْ أَخْبَرَكَ عَنْ
 بُولَدِي ؟ »

كَانَ صَوْتِي الْغَاضِبُ يَرِنُ فِي أُذُنِي ، وَكُنْتُ أَصِيحُ ، وَمَرَّةً أُخْرَى
 تَوَقَّفْتُ فَجَاءَ قَائِلًا : « إِنِّي لَا سِيفُ . »

قَالَ لُيْسُ : « أَخْبَرْتَنِي أَنَّكَ عَنْ بُولَدِي يَاوَلِيمَ ، فَمِنْذُ لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ
 كُنْتُ تَقُولُ : أَنَا وَبُولَدِي فَقَطُ .. نَحْنُ ... »

سَأَلْتُ : « هَلْ قُلْتَ ذَلِكَ حَقًّا ؟ »

قَالَ لُيْسُ : « نَعَمْ ، إِنِّي أَعْرِفُكَ جَيِّدًا يَاوَلِيمَ ، فَلَيْسَ لَكَ كَثِيرٌ مِنْ
 الْأَصْدِقَاءِ ، هَلْ بُولَدِي هَذَا صَدِيقٌ جَدِيدٌ ؟ إِنَّ بُولَدِي لَيْسَ بِالْأَسْمِ
 الشَّائِعِ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

قُلْتُ : « بَلَى ، إِنَّهُ اسْمٌ غَيْرُ مألُوفٍ ، سَأُخْبِرُكَ عَنْ بُولَدِي إِذَا أَرَدْتُ
 أَنْ تَعْرِفَ كُلَّ شَيْءٍ عَنْهُ . إِنَّ بُولَدِي مُجَرَّدُ شَخْصِيَّةٍ فِي قِصَّتِي الْجَدِيدَةِ
 عَنْ فِيلْبَرْتٍ وَائِلِي . »

« أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الشَّخْصِيَّاتِ هُوَ ؟ »

« لَا أَعْلَمُ ، فَهُوَ شَخْصِيَّةٌ لَعُوبٌ ، يَقُومُ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْأَلْعَابِ . »



« أَغْنِي ، أَهْوَ شَخْصِيَّةً خَيْرَةً أَمْ شَرِيرَةً ؟ »

« لا ، لا .. إِنَّهُ شَخْصِيَّةً خَيْرَةً بِالطَّبَعِ ، فَهُوَ شَخْصٌ لَطِيفٌ .. لَطِيفٌ جَدًّا ، شَخْصٌ طَيِّبٌ وَمُضْحِكٌ ، وَأَنَا أَحِبُّهُ كَثِيرًا . وَلَكِنْ .. وَلَكِنْ .. »
« لَكِنْ مَاذَا ؟ »

« حَسَنًا ، أَعْتَقِدُ أَنَّهُ شَرِيرٌ أحيانًا ، بَلْ إِنْ شَخْصِيَّةً بُولَدِي لَيْسَتْ وَاضِحَةً فِي خَيَالِي بِمَامَا ، فَأحيانًا أَرَاهُ شَرِيرًا .. بَلْ شَرِيرًا جَدًّا . »

« شَرِيرٌ ؟ وَلَكِنَّكَ قُلْتَ : إِنَّهُ مُضْحِكٌ وَطَيِّبٌ وَيُحِبُّ اللَّعِبَ . »
قُلْتَ : « هَذِهِ نَقْطَةٌ جَدِيدَةٌ بِالْمُنَاقَشَةِ . أَخْبِرْنِي يَا لُؤْيِسَ .. هَلْ يُمَكِّنُ لِلْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ شَرِيرًا وَمُضْحِكًا وَطَيِّبًا وَلَعُوبًا فِي نَفْسِ الْوَقْتِ ؟
مَا زِلْتُ ؟ »

قال لُؤْيِسُ : « لَمْ أَفَكِّرْ فِي هَذَا الْأَمْرِ قَطُّ . »

قُلْتَ : « سَأُحْكِي لَكَ عَنْ بُولَدِي بِقَدْرِ مَا اسْتَطِيعُ . إِنْ بُولَدِي .. »
وَفَجْأَةً سَمِعْتُ طَرَفَاتِ آتِيَةٍ مِنَ الطَّابِقِ الْعُلُويِّ ، وَكُنْتُ أَنَا وَلُؤْيِسُ نَجْلِسُ فِي حُجْرَةِ الْمَعِيشَةِ الَّتِي كَانَتْ تَقَعُ أَسْفَلَ حُجْرَةِ نَوْمِي مُبَاشَرَةً ، وَكَانَتِ الطَّرَفَاتُ آتِيَةً مِنْ حُجْرَةِ نَوْمِي .

سَأَلَ لُؤْيِسُ : « مَا الْأَمْرُ يَا وَلِيمَ ؟ وَجْهَكَ شَاخِبٌ ، كُنْتَ تَحْكِي لِي عَنْ بُولَدِي . أَرْجُوكَ أَكْمِلْ حَدِيثَكَ . »

سَأَلْتُ : « هَلْ سَمِعْتَ طَرَفًا يَا لُؤْيِسَ ؟ طَرَفًا مِثْلَ هَذَا ؟ » التَّقَطُّتْ إِحْدَى قِطْعِ الشُّطْرُنِجِ ، وَبَدَأَتْ أَنْقُرَ بِهَا عَلَى الطَّائِلَةِ ، نَقْرًا مِثْلَ وَقْعِ رَجُلٍ خَشِيَّةٍ عَلَى أَرْضِيَّةِ الْحُجْرَةِ ، مِثْلَ وَقْعِ رَجُلٍ يَعْرُجُ .

قال لُؤْيِسُ : « لا ، بِالطَّبَعِ لَمْ أَسْمَعْ أَيَّ شَيْءٍ . »

« لَكِنَّهُ جَاءَ مِنَ الطَّابِقِ الْعُلُويِّ . »

« لا ، إِنْ الْهَدَوَاءُ يَسُودُ الْمَكَانَ هُنَا . »

« إِذَا ، لَا بُدَّ أَنْ الصَّوْتُ فِي خَيَالِي أَنَا . »

أَجَابَ لُؤْيِسُ : « نَعَمْ ، إِنَّهُ مِنَ اخْتِلَاقِ خَيَالِكَ ، فَأَنْتِ كَاتِبٌ يَا وَلِيمَ ، وَتَعِيشُ حَيَاتَكَ فِي دُنْيَا الْخَيَالِ . وَلَكِنْ انْتَبِهْ لِنَفْسِكَ ، فَالْخَيَالُ قَدْ يَكُونُ شَدِيدَ الْخَطَرِ ! »

« كَيْفَ يَكُونُ شَدِيدَ الْخَطَرِ ؟ »

« حَسَنًا ، قَدْ يُسَيِّطِرُ الْخَيَالُ عَلَى حَيَاتِكَ ، فَأَنْتِ تُغْرِقُ نَفْسَكَ فِي الْعَمَلِ ، وَلَا تَخْرُجُ كَثِيرًا ، وَتَعِيشُ حَيَاةً كَثِيَّةً .. إِنَّكَ تَحْبِسُ نَفْسَكَ فِي حُجْرَةِ مَكْتَبِكَ طَوَالَ الْيَوْمِ ، وَتَعِيشُ وَحِيدًا فِي هَذَا الْمَنْزِلِ الْكَبِيرِ ، وَعِنْدَمَا يَأْتِي اللَّيْلُ تَسْتَسْلِمُ لِلنَّوْمِ حَتَّى الْيَوْمِ التَّالِي ؛ فَتَسْعَى إِلَى حُجْرَةِ مَكْتَبِكَ مَرَّةً أُخْرَى . أَنْتِ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْأَصْدِقَاءِ ، أَنْتِ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْهَوَاءِ وَالطَّبِيعَةِ وَالشَّمْسِ . إِنَّكَ لَا تَعِيشُ حَيَاةَ شَخْصٍ عَادِيٍّ ، بَلْ تَعِيشُ

مِنْ خِلَالِ مَا يُمْلِيهِ عَلَيْكَ خَيَالُكَ ، وَهَذَا يَكْمُنُ الْخَطَرُ . فَشَطَحَاتِ الْخَيَالِ
قَدْ تُسَيِّطِرُ عَلَى حَيَاتِكَ . أَنْظُرْ إِلَى حَدِيثِكَ عَنْ بُولَدِي .. إِنَّكَ تَتَصَوَّرُهُ
شَخْصًا حَقِيقِيًّا ، بِالرَّغْمِ مِنْ كَوْنِهِ مُجَرَّدَ شَخْصِيَّةٍ فِي إِحْدَى قِصَصِكَ ،
تَمَامًا مِثْلَ فِيلْبِرْتِ وَأَيْلِي .. شَخْصِيَّةٍ لَيْسَ لَهَا وُجُودٌ فِي الْوَاقِعِ .

« كَلَّا ، إِنَّهُ مَوْجُودٌ بِالْفِعْلِ . »

« صَحِيحٌ ، وَلَكِنْ فِي خَيَالِكَ فَقَطْ . »

« بَلْ هُوَ مَوْجُودٌ فِعْلًا ، وَهُوَ حَقِيقَةٌ لَا تُسْتَطِيعُ انْكَارَهَا ، لَقَدْ كَانَ
هَامِلِتْ إِحْدَى شَخْصِيَّاتِ شِكْسْبِيرِ ، وَمَعَ ذَلِكَ لَهُ وُجُودٌ فِعْلِيٌّ ، لَهُ
كِيَانٌ حَقِيقِيٌّ . كَانَتْ الْمَلِكَةُ إِلْيَزَابِيثْ مَوْجُودَةً .. عَاشَتْ
وَحَكَمَتْ إِِنْجِلْتِرَا ، لَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ أَكْثَرَ وَاقِعِيَّةً مِنْ هَامِلِتْ . أَلَا تُعْتَقِدُ أَنَّ
هَامِلِتْ شَخْصٌ حَقِيقِيٌّ مِثْلُهُ فِي ذَلِكَ مِثْلُ الْمَلِكَةِ إِلْيَزَابِيثْ ؟ أَعْنِي أَنَّ
كُلًّا مِنْهُمَا شَخْصِيَّةٌ لَهَا كِيَانٌ فِعْلِيٌّ فِي عُقُولِنَا . »

قَالَ لُويْسُ : « هَذِهِ قَضِيَّةٌ فَلَسَفِيَّةٌ مُثِيرَةٌ لِلتَّفَكِيرِ فِعْلًا ، فَالْأَشْيَاءُ قَدْ
تَوْجَدَتْ فِي الْعَقْلِ أَوْ فِي وَاقِعِ الْحَيَاةِ ؛ وَعَلَى ذَلِكَ تَبْدُو شَخْصِيَّةٌ بُولَدِي
هَذَا وَاقِعًا وَحَقِيقَةً بِالنِّسْبَةِ لَكَ ، تَمَامًا كَمَا أَتَنِي وَاقِعٌ مَلْمُوسٌ لَكَ ، أَلَيْسَ
كَذَلِكَ ؟ »

قُلْتُ : « بَلَى ، هَذَا صَحِيحٌ . »

قَالَ لُويْسُ : « كُنْتُ أَعْرِفُ دَائِمًا أَنَّكَ فَيْلَسُوفٌ يَا وَلِيْمُ ، وَآلَانَ
فَلَسْتَانِيْفُ لُغْبَةُ الشُّطْرُنْجِ ، إِنَّهُ دَوْرُكَ الْآنَ . »

« دَوْرِي ؟ لَقَدْ حَرَكْتُ قِطْعَتِي حَالًا . »

« لَادَاعِي لِأَنَّ تَعْيِدَ الْجِدَالِ مِنْ جَدِيدٍ . اسْمَعْ .. فَلْتَرَا جَمِيعَ
الْحَرَكَاتِ مِنَ الْبِدَايَةِ . إِنَّنِي أَلْعَبُ بِالْقِطْعِ الْبَيْضَاءِ ، وَأَنْتَ بِالسُّودَاءِ ،
أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

« بَلَى ، هَذَا صَحِيحٌ . » وَبَدَأَ لُويْسُ يَعُودُ بِالذَّاكِرَةِ إِلَى مَالْعِبَاهُ مِنْ
أَدْوَارِ ، حَرَكَةِ حَرَكَةٍ .

قَالَ لُويْسُ : « لَقَدْ قَامَ كُلُّ مَنَا بِاللَّعِبِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ نَقْلَةً ، وَأَنَا أَلْعَبُ
بِالْقِطْعِ الْبَيْضَاءِ لِذَا قُمْتُ بِالنَّقْلَةِ الْأُولَى ، وَقَدْ حَرَكْتُ قِطْعَتِي الْآنَ ،
وَهَذِهِ هِيَ نَقْلَتِي الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ ، وَحَانَ دَوْرُكَ الْآنَ . »

نَظَرْتُ إِلَى رُقْعَةِ الشُّطْرُنْجِ مُفَكِّرًا لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ ، وَقُلْتُ : « أَنْتَ عَلَى
حَقٍّ فَلَمْ أَكُنْ أَتَابِعُ الْمُبَارَاةَ . »

أَجَابَ لُويْسُ : « أَجَلٌ ، وَقَدْ أَخْبَرْتُكَ بِذَلِكَ ، فَذَهْنُكَ مَشْغُولٌ بِأُمُورٍ
أُخْرَى . »

« حَسَنًا ، إِنَّنِي أَنْظُرُ إِلَى اللَّعْبَةِ الْآنَ ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّي مَلَلْتُهَا . لَقَدْ حَدَثَ

قَالَ لُؤَيْسٌ : « لَيْسَ بِالنَّسْبَةِ لِي ، وَلَكِنْ بِالنَّسْبَةِ لَكَ . »

أَجَبْتُ : « نَعَمْ ، حَدَّثَ خَطَأً مَا ، خَطَأً جَسِيمٌ وَلَا يُمَكِّنُنِي عَمَلُ شَيْءٍ حَيَالَهُ . » ثُمَّ قُمْتُ بِتَحْرِيكِ الْمَلِكِ .

قَامَ لُؤَيْسٌ فِي الْحَالِ بِتَحْرِيكِ « وَزِيرِهِ » . رَفَعَ يَدَيْهِ قِطْعَةَ الشُّطْرُنْجِ الْحَشِيشِيَّةِ الْكَبِيرَةِ ، ثُمَّ نَزَلَ بِهَا بِشِدَّةٍ عَلَى رُقْعَةِ الشُّطْرُنْجِ ، فَاصْطَدَمَتْ بِسَطْحِ الرُّقْعَةِ مُجْدِنَةً صَوْتًا عَالِيًا ، ثُمَّ هَتَفَ : « مَاتَ الْمَلِكُ ، أَخْشَى أَنْ تَكُونَ قَدْ خَسِرْتَ الْمُبَارَاةَ . »

نَظَرْتُ إِلَى قِطْعَةِ الشُّطْرُنْجِ ، وَقُلْتُ : « أَنْتَ عَلَى حَقٍّ .. مَاتَ الْمَلِكُ ، وَلَيْسَ مِنْ سَبِيلٍ لِإِنْقَاذِهِ ! مَاتَ الْمَلِكُ . »

قَالَ لُؤَيْسٌ : « لَمْ تَلْعَبْ جَيِّدًا الْيَوْمَ .. لَمْ تَلْعَبْ مُبَارَاتِكَ الْمُعْتَادَةَ . »

أَجَبْتُ : « نَعَمْ ، إِنَّنِي أَعْرِفُ ذَلِكَ . »

سَأَلَ لُؤَيْسٌ : « هَلْ تَعْلَمُ لِمَاذَا ؟ »

« كَلَّا ، لِمَاذَا ؟ أَخْبِرْنِي ! »

« لَمْ تَكُنْ مُرَكِّزًا عَلَى الْمُبَارَاةِ ، بَلْ كَانَ ذِهْنُكَ مَشْغُولًا بِتِلْكَ

الشَّخْصِيَّةِ - بُؤَلْدِي ! . إِنَّنِي لَمْ أَهْزِمَكَ ، لَقَدْ هَزَمَكَ بُؤَلْدِي . »

« كَيْفَ ذَلِكَ ؟ »

« لِأَنَّهُ يُسَيِّطِرُ عَلَى تَفْكِيرِكَ . إِنَّ لِلْفَلَّاسِيفَةِ وَالْكِتَابِ حَقًّا فِي الْحَيَاةِ أَيْضًا ، وَلَا تَبْغِي لَهُمْ أَنْ يَسْمَحُوا لِلْأَفْكَارِ بِالسَّيْطَرَةِ عَلَى حَيَاتِهِمْ . »

قُلْتُ : « أَنْتَ عَلَى حَقٍّ يَا لُؤَيْسُ . »

نَظَرَ لُؤَيْسٌ إِلَيَّ سَاعَتِيهِ قَائِلًا : « السَّاعَةُ الثَّانِيَّةُ عَشْرَةَ إِلَّا عَشْرَ دَقَائِقَ . تَأَخَّرَ بِنَا الْوَقْتُ ، وَلَا بُدَّ أَنْ أَذْهَبَ الْآنَ . » ثُمَّ وَقَفَ قَائِلًا : « شُكْرًا

عَلَى الْمُبَارَاةِ يَا وَلِيمَ . تُصْبِحُ عَلَى خَيْرٍ ، وَإِلَى الْأُسْبُوعِ الْمُقْبِلِ . »

قُلْتُ : « شُكْرًا يَا لُؤَيْسُ ، وَتُصْبِحُ عَلَى خَيْرٍ . » ثُمَّ نَهَضْتُ وَاقِفًا ، وَفَجْأَةً أَطَحْتُ بِرُقْعَةِ الشُّطْرُنْجِ ، فَسَقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِيَّةِ ؛ وَتَبَعَّرَتْ الْقِطْعُ فِي أَرْجَاءِ الْحُجْرَةِ .

قَالَ لُؤَيْسٌ ضَاحِكًا : « لَقَدْ خَسِرْتَ الْمُبَارَاةَ الْآنَ بِالْفِعْلِ . »

الفصل الرابع

حدث خطأ ما في اللغة

مرَّ على مباراة الشطرنج التي وصفتهُ حالاً نحو خمسة أعوام ، ومنذُ ذلك الحين - بطبيعة الحال - كنتُ ألعبُ الشطرنجَ معَ لويسَ مرةً كلَّ أسبوعٍ . وهناكُ مباراةٌ معهَ غداً ، ولكنني وصفتُ مباراةَ الشطرنجِ تلكَ لأنني أتذكَّرها بالتفصيل . في ذلك الوقتِ كانتُ لعبتي معَ بُولدي قد بدأتُ تمرُّ بمرحلةٍ صعبةٍ ، ولمَ يحدثُ ذلكَ بشكلٍ مفاجئٍ ، بل كانَ التحوُّلُ تدرجياً وبطيئاً جداً ، حتَّى إنني في الواقعِ لمَ ألحظِ التغييرَ أوَّلَ الأمرِ .

لمَ يتحدَّثَ لويسُ معي مرةً أخرى عنَ بُولدي ، وبِالطَّبعِ لمَ أتحدَّثُ أنا كذلكَ عنهُ . لقدَ أخبرتُ لويسَ أنَّ بُولدي كانَ إحدى الشخصياتِ في قصتي البوليسيةِ ؛ وصدَّقَ ما قلتُ . ولمَ يكنُ في استطاعتي أنَ أخبرهُ أنَّ بُولدي موجودٌ فعلاً ، وأنَّه ليسَ شخصيَّةٌ تعيشُ فقط في خيالي ، ولكنَّه يعيشُ في دُنيا الواقعِ ، يعيشُ في حُجرتي ، بل إنني أحياناً لا أعتبرُها حُجرتي الخاصَّةَ بي وحدي ، بل حُجرةَ بُولدي أيضاً .

لقدَ أوشكتُ أنَ أفقدَ القدرةَ على ضبطِ النفسِ تلكَ اللَّيلةَ معَ لويسَ ، فقدَ تحدَّثتُ عنَ بُولدي ، وكانَ مِنَ الخطِّ أنني فعلتُ ذلكَ ، فأنا لمَ

أكنُ أدري أنَّ بُولدي قدَ سمعني وأنَّ وقعَ خطاهُ في الطابقِ العلويِّ كانَ كتحذيرٍ لي . ولمَ يسمَعُ لويسُ التحذيرَ بطبيعةِ الحالِ ، فقدَ كانَ موجَّهاً لي ، وكانَ بُولدي يقولُ : « اصمتْ يا وليم ! لا تفضَحُ سرِّنا . » ولهذا أصبحتُ حريصاً منذُ ذلكَ الحينِ ، أتجنَّبُ الحديثَ بأيِّ شكلٍ عنَ عملي ، خشيةً أنَ يُبادرنِي لويسُ بِأسئلةٍ عنَ بُولدي .

لقدَ ذكرتُ مِن قَبْلُ أنَّ الأمورَ بدأتُ تسوءُ ، وأنَّ ذلكَ حدثَ بالتدريجِ ، ولاحظتُ ذلكَ - لأوَّلَ مرةٍ - قَبْلَ مباراتي معَ لويسَ بِشهرينِ تقريباً .. ففي إحدى اللَّيالي كنتُ وبُولدي نلعبُ لعبتنا المعتادة ، وكُنْتُ قدَ جدَّبتُ القايِسَ مِنَ المقيِسِ ؛ ففرقتُ الحُجرةَ في ظلامِ دامسٍ . إنني دائماً أشعرُ بِوجودِ بُولدي ، ثمَ يقومُ بعدَ ذلكَ بإعطائي إشارةً تدلُّ على وجودِهِ . أحياناً تكونُ هذهُ الإشارةُ في صورةِ طرقاتٍ على أرضيَّةِ الحُجرةِ ، وأحياناً نقراتٍ على النافذةِ ، وأحياناً أخرى بهزُّ سريري . غيرَ أنَّه في هذهِ اللَّيلةِ لمَ يُعطني أيَّةَ إشارةٍ ، وكُنْتُ قدَ شعرتُ بِوجودِهِ عندما انطفأَ النورُ . كانَ هذا كُلُّ شيءٍ ، وجلسْتُ في الفراشِ وناديتُهُ : « بُولدي .. أعلمُ أنَّكَ هنا ، وأنا على استعدادٍ للعبِ ، هلَ أنتَ جاهزٌ ؟ » لمَ يحدثُ شيءٌ ! فغادرتُ الفراشَ ، ومشييتُ في أنحاءِ الحُجرةِ . مشيتُ بِمنتهى الهدوءِ على الأرضيَّةِ الخشبيَّةِ ، وكأنتُ أخطواتي خفيفةً جداً ، ومعَ ذلكَ كنتُ أسمعُ وقعها .

كُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّ بُولْدِي يَتَّبَعُنِي وَأَنَا أَمْشِي فِي أُنْحَاءِ الْحُجْرَةِ . وَتَوَقَّفْتُ
عَنِ الْمَشْيِ فَجَاءَتْ وَاسْتَدْرَتْ ؛ وَبِالطَّبْعِ لَمْ أَرِ شَيْئًا . وَمَشَيْتُ فِي الْحُجْرَةِ
ذَهَابًا وَإِيَابًا عِدَّةَ مَرَّاتٍ (مِنْ أَحَدِ أَطْرَافِهَا إِلَى الْطَّرَفِ الْآخَرِ) ، وَكُنْتُ
أَتَوَقَّفُ فَجَاءَتْ ، وَكَانَ بُولْدِي يَتَّبَعُنِي . وَقَفْتُ سَاكِئًا وَأَصْغَيْتُ ؛ فَسَمِعْتُ
وَقْعًا خَفِيفًا عَلَى أَرْضِيَّةِ الْحُجْرَةِ ، وَكَانَ الصَّوْتُ خَلْفِي تَمَامًا ، وَكَانَ
يَرْتَفِعُ شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَاسْتَدْرْتُ خَلْفِي ؛ فَاخْتَفَى الصَّوْتُ .

قُلْتُ غَاضِبًا : « مَا هَذَا الَّذِي تَفْعَلُهُ يَا بُولْدِي ؟ ! .. أَنْتَ لَا تَلْعَبُ ..
أَتُشَارِكُنِي اللَّعِبَ أَمْ لَا ؟ حَسَنًا ، سَأَعاقِبُكَ ، وَأَرْجِعُ إِلَى الْفِرَاشِ ..
سَأَضَعُ الْقَابِسَ فِي الْمَقْبَسِ وَأَصْرِفُكَ .. سَأَعاقِبُكَ . » فَفَزْتُ إِلَى
الْفِرَاشِ ، ثُمَّ قُلْتُ : « سَأُعْطِيكَ فُرْصَةً وَاحِدَةً أُخْرَى ، أُرْغَبُ فِي اللَّعِبِ
أَمْ لَا ؟ » مَرَّةً أُخْرَى لَمْ يَحْدُثْ أَيُّ شَيْءٍ .

قُلْتُ : « سَأَبْدَأُ الْعَدَّ حَتَّى الثَّلَاثَةِ . » وَبَدَأْتُ الْعَدَّ بِطُءٍ : « وَاحِدٌ ،
إِثْنَانِ ، ثَلَاثَةٌ . » مِلْتُ بِجِسْمِي عَلَى جَانِبِ السَّرِيرِ ، وَتَلَمَّسْتُ الْأَرْضِيَّةَ
بِيَدِي حَتَّى أُمْسَكْتُ بِالسَّلْكِ ، وَلَكِنْ .. بَدَأَ السَّلْكُ يَنْزَلِقُ مِنْ يَدِي ؛
فَأُمْسَكْتُهُ بِقُوَّةٍ وَجَذَبْتُهُ ، غَيْرَ أَنَّ بُولْدِي كَانَ يَجْذِبُ فِي الْإِتْجَاهِ الْمُضَادِّ .
وَكَنْتُ أَجْذِبُ بِيَدٍ وَأُحَاوِلُ تَلَمُّسَ الْقَابِسِ بِالْيَدِ الْأُخْرَى حَتَّى انْزَلِقَ
جِسْمِي ، وَكَادَ يَسْتَقِرُّ عَلَى الْأَرْضِيَّةِ . وَأَخِيرًا ، وَجَدْتُ الْقَابِسَ ، وَأَدْخَلْتُهُ
فِي الْمَقْبَسِ ؛ فَأَضَاءَ الْمِصْبَاحُ ، وَاخْتَفَى بُولْدِي .

أَطْفَأْتُ النُّورَ بِاسْتِخْدَامِ الْمِفْتَاحِ ، وَلَكِنِّي بَقِيتُ مُسْتَقِظًا لِفَتْرَةٍ
طَوِيلَةٍ ، وَكَانَ قَلْبِي يَدُقُّ بِشِدَّةٍ . إِنَّهُ لَشَيْءٌ مُضْجِكٌ فِعْلًا ، لِمَ لَا يَلْعَبُ
بُولْدِي مَعِي ؟ ! إِنَّهُ أَشْبَهُ بِصَبِيٍّ صَغِيرٍ . رُبَّمَا يَرْغَبُ فِي تَغْيِيرِ قَوَاعِدِ
اللُّعْبَةِ ، أَوْ فِي الْقِيَامِ بِبَعْضِ الْحِيلِ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ تَمَامًا أَنَّ بُولْدِي
لَمْ يَكُنْ يَقُومُ بِأَيَّةِ حِيلٍ .

وَهَكَذَا تَوَصَّلْتُ إِلَى اكْتِشَافِي الثَّالِثِ الْهَامِّ . لَقَدْ حَدَثَ خَطَأٌ مَا فِي
لُعْبَتِنَا ، وَلَنْ تُكُونَ كَمَا كَانَتْ سَابِقًا .

فِي اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ شَعَرْتُ بِالْخَوْفِ ، وَلَمْ أَكُنْ أَشْعُرُ قَطُّ بِالْخَوْفِ مِنْ
قَبْلِ فِي لُعْبِي مَعَ بُولْدِي . وَلَمْ أَسْتَطِعْ جَذْبَ الْقَابِسِ مِنْ مَقْبِسِهِ ؛ فَفَزْتُ
فِي الْفِرَاشِ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ وَالنُّورُ مُضَاءً ، وَكُنْتُ أَشْعُرُ بِالْخَوْفِ فِعْلًا .
وَأَخِيرًا اسْتَجَمَعْتُ قُوَايَ ؛ وَجَذَبْتُ الْقَابِسَ مِنَ الْمَقْبَسِ ، وَأَنَا أُحْدِثُ
نَفْسِي : « مَاذَا يُمَكِّنُ أَنْ يَحْدُثَ ؟ »

لَمْ يَقُمْ بُولْدِي بِأَيَّةِ حِيلَةٍ ، وَكُنْتُ سَعِيدًا بِذَلِكَ ، بَلْ لَعَبْنَا لُعْبَتَنَا الطَّرِيفَةَ
الْمُعْتَادَةَ ، وَاسْتَمْتَعْتُ بِهَا كَمَا اسْتَمْتَعَ بِهَا بُولْدِي .

كَانَتِ اللَّيْلَةُ السَّابِقَةُ لِمُبَارَاتِي فِي الشُّطْرُنْجِ مَعَ لُؤَيْسَ لَيْلَةً عَصِيبَةً -
وَهِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَصَفْتُهَا فِيمَا سَبَقَ - كَانَ الْقَمَرُ بَدْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ؛
وَلِهَذَا لَمْ أَغْلِقِ السِّتَانِ ، وَلَمْ أَكُنْ أَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ . وَكَانَ الضُّوْءُ يَغْمُرُ

الْحُجْرَةَ ، وَكَانَ الْمَصْبَاحُ مُضَاءً عِنْدَمَا تَوَجَّهْتُ لِلْفِرَاشِ . وَبَعْدَ فِتْرَةٍ قَصِيرَةٍ فَصَلْتُ الْقَائِسَ مِنَ الْمَقْبَسِ ، وَكُنْتُ مُسْتَعِدًّا لِيَدِي الْمُبَارَاةِ ، غَيْرَ أَنَّ شَيْئًا لَمْ يَحْدُثْ ؛ فَلَمْ يُعْطِ بُولَدِي آيَةً إِشَارَةٍ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ مَوْجُودًا فِي الْحُجْرَةِ بِالطَّبْعِ .

جَلَسْتُ فِي الْفِرَاشِ وَانْتَظَرْتُ ، وَكُنْتُ أَرَى الْبَدْرَ مِنْ نَافِذَةِ حُجْرَتِي ، وَكَانَتْ هُنَاكَ بَعْضُ الظَّلَالِ الدَّاكِنَةِ عَلَى الْأَرْضِيَّةِ ، كَمَا كَانَتْ هُنَاكَ ظِلَالٌ عَلَى الْحَوَائِطِ . وَتَرَامَى إِلَى أُذُنِي مَوَاءُ قِطْعَةٍ آتٍ مِنَ الْخَارِجِ ، وَبَدَأَ لِي كَأَنَّهَا تَبْكِي مِثْلَ طِفْلَةٍ صَغِيرَةٍ ، وَأَنَا أُمُتُّ هَذَا الصَّوْتِ . نَهَضْتُ وَفَتَحْتُ

النَّافِذَةَ ، وَصَحْتُ : « هِش ! هِش ! » ، وَتَوَقَّفَتِ الْقِطْعَةُ عَنِ الْمَوَاءِ ، غَيْرَ أَنَّهَا عَادَتْ فَاسْتَأْنَفَتْهُ ؛ فَصَحْتُ ثَانِيَةً : « هِش ! » ، وَفِي هَذِهِ الْمَرَّةِ رَأَيْتُ الْقِطْعَةَ . كَانَتْ قِطْعَةً سَمِينَةً سَوْدَاءَ جَرَتْ غَيْرَ الْحَدِيقَةِ ؛ فَارْتَحْتُ ، وَرَجَعْتُ إِلَى الْفِرَاشِ ، وَسَأَلْتُ : « أَلَلْعَبُ أَمْ لَا ؟ » كُنْتُ أَرَى الْحُجْرَةَ بِأَكْمَلِهَا بوضوحٍ .. أَرَى الْكُرْسِيَّ وَقَدْ وَضَعْتُ عَلَيْهِ مَلَابِسِي ، وَأَرَى خِزَانَةَ الْمَلَابِسِ الْكَبِيرَةَ فِي رُكْنِ الْحُجْرَةِ . وَنَظَرْتُ إِلَى خِزَانَةِ الْمَلَابِسِ لِفِتْرَةٍ طَوِيلَةٍ ، وَفَجْأَةً بَدَأَ بَابُ الْخِزَانَةِ يَنْفَتِحُ بِهَدْوٍ . انْفَتَحَ قَلِيلًا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ، ثُمَّ اتَّسَعَتِ الْفُرْجَةُ شَيْئًا فَشَيْئًا ، حَتَّى انْفَتَحَ الْبَابُ عَلَى مِصْرَاعَيْهِ .



إِنِّي أُحْتَفِظُ بِمَلَابِسِي فِي الْخِزَانَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَيَّ الْكَثِيرُ مِنَ الْمَلَابِسِ
لَعَلَّمِ حَاجَتِي إِلَيْهَا .. لَمْ يَكُنْ لِي غَيْرُ عَدَدٍ قَلِيلٍ مِنَ الْقُمَصَانِ وَتَنْطَلَوَتَيْنِ ،
وَحُلَّتَيْنِ ، وَمِعْطَافٍ قَدِيمٍ .

كَانَ بَابُ الْخِزَانَةِ مَفْتُوحًا عَلَى اتِّسَاعِهِ ، وَلِذَلِكَ كَانَ فِي اسْتِطَاعَتِي
أَنْ أَرَى مَا بِدَاخِلِهَا . رَأَيْتُ قُمَصَانِي وَحُلَّتِي وَالْمِعْطَافَ الْقَدِيمَ . وَإِذَا
بِمِعْطَافِي يَبْدَأُ فِي الْحَرَكَةِ ، وَيَخْطُو خَارِجَ خِزَانَةِ الْمَلَابِسِ ، وَيَتَوَقَّفُ أَمَامَ
بَابِ الْخِزَانَةِ . قُلْتُ بِطُءٍ : « بُولْدِي ! »

لَمْ يَسْتَمِعْ لِي بُولْدِي (أَوْ بِالْأُخْرَى الْمِعْطَافُ) بَلْ وَقَفَ هُنَاكَ
كَشْخَصٍ .. شَخْصٍ بِدُونِ رَأْسٍ أَوْ رِجْلَيْنِ أَوْ يَدَيْنِ ، ثُمَّ بَدَأَ « يَمْشِي »
نَحْوِي ، وَبَعْدَ بَضْعِ خُطَوَاتٍ هَادِئَةٍ ، رَفَعَ « ذِرَاعَهُ » وَهَزَّهَا فِي اتِّجَاهِي .

كُنْتُ أَشْعُرُ بِالْغَضَبِ نَحْوَ بُولْدِي ؛ فَقُلْتُ صَائِحًا : « لَقَدْ نَالَنِي مَا
يَكْفِينِي مِنَ الْأَعْيَبِ السَّخِيفَةِ ! وَسَأُنْزِلُ بِكَ الْعِقَابَ عَلَى فَعْلَتِكَ هَذِهِ ؛
سَأَصْرِفُكَ ، وَإِذَا رَفَضْتَ أَنْ تُشَارِكَنِي اللَّعْبَةَ الْمُعْتَادَةَ ؛ فَسَأُضْطَرُّ إِلَى
عِقَابِكَ . » وَمِلْتُ بِجِسْمِي عَلَى جَانِبِ السَّرِيرِ ، وَأُمْسَكْتُ بِالْقَابِسِ الَّذِي
كَانَ مِنَ السَّهْلِ رُؤْيَتُهُ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ ، وَرَفَعْتُهُ ، ثُمَّ قُلْتُ : « أَلَا تَرَى ؟
سَأُضْعُهُ آلَانَ فِي الْمَقْيَسِ ؛ وَبِذَلِكَ سَتَنْصَرِفُ . »

تَحَرَّكَ الْمِعْطَافُ فَجَاءَ نَحْوِي ، وَامْتَدَّتْ ذِرَاعُ لَتَمْسِكَ بِالْقَابِسِ وَتَتَرَعَّهُ

مِنْ يَدِي ؛ فَأَنْزَلَتْ السِّلْكَ مِنْ خِلَالِ أَصَابِعِي ، وَسَقَطَ الْمِصْبَاحُ عَلَى
الْأَرْضِ .

نَهَضْتُ وَقَدْ اسْتَبَدَّ بِي الْغَضَبُ . فَأَسْقَطَ الْمِعْطَافُ الْقَابِسَ ، وَأَسْرَعَ
إِلَى دَاخِلِ الْخِزَانَةِ ، وَاتَّعَلَقَ بِبَابِ الْخِزَانَةِ مُحْدِثًا صَوْتًا مُرْتَفِعًا .

التَّقَطُّتُ الْمِصْبَاحُ وَأَعْدَتُهُ إِلَى مِنْضَدَةِ السَّرِيرِ ، ثُمَّ تَوَجَّهْتُ إِلَى
الْخِزَانَةِ ، وَفَتَحْتُهَا قَلِيلًا . أَدْخَلْتُ يَدِي وَتَلَمَّسْتُ الْمَلَابِسَ ، وَكَانَ مِعْطَافِي
فِي مَكَانِهِ الْمُعْتَادِ ، وَكُنْتُ أَشْعُرُ بِذَلِكَ ، فَقَدْ كَانَ نَاعِمَ الْمَلَمَسِ ، خَالِيًا
مِنْ أَيِّ شَيْءٍ . وَجَذَبْتُ بَابَ الْخِزَانَةِ وَفَتَحْتُهُ ثُمَّ نَظَرْتُ فِي الدَّاخِلِ -
دَاخِلِ الْمِعْطَافِ - فَوَجَدْتُهُ خَالِيًا ، خَالِيًا تَمَامًا .. مَا مِنْ إِشَارَةٍ أَوْ عَلَامَةٍ
أَوْ أَثَرٍ يَدُلُّ عَلَى بُولْدِي .

قُلْتُ : « فَهَيْئَتُ آلَانَ .. تُرِيدُ مِنِّي أَنْ أَغْلِقَ السَّتَائِرَ قَبْلَ أَنْ نَلْعَبَ . »
ذَهَبْتُ إِلَى النَّافِذَةِ ، وَنَظَرْتُ لِلْخَارِجِ ، وَكَانَتِ الْقِطْعَةُ مَا زَالَتْ هُنَاكَ تَمُوءُ
وَتُبْكِي مِثْلَ طِفْلةٍ صَغِيرَةٍ ؛ صِيحْتُ : « هِشْ » ؛ وَلَكِنَّهَا لَمْ تَكُفْ عَنِ
الْبُكَاءِ . وَكُنْتُ قَدْ أَوْشَكْتُ أَنْ أُسَدِلَ السَّتَائِرَ ، وَلَكِنِّي لَاحِظْتُ شَيْئًا !
كَانَ هُنَاكَ شَخْصٌ يَقِفُ خَلْفَ السَّتَارَةِ ، وَكُنْتُ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرَى بِوُضُوحٍ
هَيْئَةَ هَذَا الشَّخْصِ .. وَحَاوَلْتُ أَنْ أَرْبِحَ السَّتَارَةَ ؛ فَلَمْ أَسْتَطِعْ وَلَمْ يَدْعُنِي
هَذَا الشَّخْصُ أَقْرُبُ بِذَلِكَ . وَصِيحْتُ بِغَضَبٍ : « يَكْفِينِي هَذَا » ، وَرَجَعْتُ

مباريات جيدة وأخرى سيئة

في الأعوام الخمسة الماضية ، وحتى الوقت الحاضر ، داومت على لعب المباريات مع بولدي . وقد لعبنا كل ليلة مباريات ، بعضها جيد ، وبعضها سيئ . وقد وصفت من قبل المباريات الجيدة ، وكانت مباريات بسيطة للغاية وممتعة دائما . وأنا أشعر بالسعادة عندما ألعب مباريات جيدة ، وأشعر بالتعاسة عندما ألعب مباريات سيئة .

قد تساءل عن أوجه الخلاف بين المباراة « الجيدة » والمباراة « السيئة » ! لقد سبق أن وصفت بعض المباريات السيئة ، ولعلك لاحظت أنه ليس في المباراة السيئة قواعد ، بل يمكن لأي شيء أن يحدث . وهناك شيء آخر ، فأنا عندما ألعب مباراة جيدة لا أشعر بالخوف قط ، ولكنني عندما ألعب مباراة سيئة يمتلئ قلبي رعبا ، فالمباريات السيئة أشبه ما تكون بنذير الشر .

وأود هنا أن أصف بعض المباريات التي خضتها في السنوات الخمس الماضية . في بداية هذه المباريات (أي في الوقت الذي لعبت فيه مباراة الشطرنج التي وصفتها من قبل) لم تكن المباريات التي لعبناها سيئة ، غير أنه مع مرور الوقت أصبحنا نلعب مباراة جيدة في إحدى الليالي ،

إلى الفراش ، فتحركت الستارة لتغطي النافذة ، فأصبحت الحجرة في تلك اللحظة في ظلام دامس ، وقلت : « إذا ، فأنت تريد اللعب الآن » ؛ مامن إجابة - بطبيعة الحال - غير مواء القطة خارج النافذة .

مددت يدي نحو القابس الذي كان ملقى على الأرض ، فوجدته وأولجته في المقبس ، وأضاءت الحجرة وكان بولدي قد اختفى .

مرة أخرى بقيت مستيقظا لفترة طويلة . لقد لعبنا مباراة سيئة ، سيئة للغاية . وفي أثناء رقادي في الفراش كنت أسمع دقات قلبي العنيفة ، وكنت أسمع أيضا مواء القطة بالخارج ، التي لم تتوقف عن المواء ، وكانت تبكي كطفلة طوال الليل .

تتلوها مُباراةً سيئةً في الليلة التالية . واستمرَّ هذا الحال حتى السنتين
الأخيرتين ؛ وهنا بدأ القلق يساورني .. وأصبح القلق والخوف يملآن
حياتي دائماً .

لماذا بدأ بولدي يلعب مباريات سيئة ؟ كثيراً ما سألت نفسي هذا
السؤال ؛ ولم أستطع التوصل إلى سبب يفسر لي الأمر . لقد فكرتُ
في عدَّة أسباب مختلفة ، ولعلك تهتدي بنفسك إلى بعضها ، غير أنه
ليس من السهل أن تفكر في شيء ما ، ثم تقول : « هذا هو السبب . »
كنتُ أعتقد في أول الأمر أن بولدي كان غيوراً ، أي أنه يغار إذا
ما كسبت إحدى المباريات ؛ ولذلك كنتُ أدعه يكسب طوال الوقت ،
وبالرغم من ذلك كان يريد أن يلعب مباريات سيئة .

لعله كان يريد أن يعاقبني ! ولكن ماذا فعلتُ ؟ ! فكرتُ في ذلك
كثيراً . قد يكون بولدي غاضباً لأنني أخبرتُ لويس عنه ، ولكنني لم أخبر
لويس كل شيء ، فكل ما قلته إن بولدي كان إحدى الشخصيات في
إحدى قصصى البوليسية ، ولم أقل إنه شبح ، أو شبح يجب اللعب
والضوضاء . ولاتنس « أيها القارئ » أن المباريات السيئة كانت قد بدأت
قبل أن أقول شيئاً للويس .

من يكون بولدي ؟ كثيراً ما فكرتُ في ذلك أيضاً ، ولو علمتُ

الإجابة عن هذا السؤال ، لكان من المحتمل أن أتوصل إلى إجابة عن
سؤالي الأول عن سبب رغبته في لعب مباريات سيئة . ولكنني لا أستطيع
التوصل للإجابة ، فكثيراً ما كنتُ أتساءل : هل بولدي شبح زوجتي
المتيَّة ؟ هل بولدي هو جولي حقيقة ؟ وأعتقد أن الإجابة عن هذا السؤال
لا بد أن تكون : « لا » ، فلم يعطني بولدي أية إشارة أو علامة على
الإطلاق . فهناك - مثلاً - صورة لجولي معلقة على حائط حجرة نومي ،
وكان من الممكن أن يهزها أو يحركها ، ولكنه لم يفعل ذلك قط . لقد
احتفظتُ بأحد فساتين جولي ، وهو فستان سهرة جميل ، احتفظتُ به
في خزانة ملابسي ، ولم يلمسه بولدي قط . بل كثيراً ما كان يخرج
ملابسي أنا من الخزانة ، ولو كان بولدي هو جولي لاستطاع أو استطاعت
بكل سهولة أن تعطيني إشارة تدل على ذلك . وتذكر « أيها القارئ »
أن جولي كانت تُحبني كما كنتُ أحبها تماماً . من أجل هذا كله لا يمكن
أن يكون بولدي هو جولي ، ومع ذلك لا يمكنني الجزم بذلك .

هل بولدي مجرد جزء من خيالي ؟ كلا ، وألف كلا ! وما السبب ؟
إن كل هذه الأشياء تحدث فعلاً ، فأنا لا أتخيلها ، بل هي حقائق ،
فبولدي موجود في الواقع .

شيئاً فشيئاً كانت المباريات السيئة التي كنتُ ألعبها مع بولدي تزداد
عدداً ، ثم بدأ القلق يساورني . كنتُ أود فقط أن أتمكن من لعب

مُبَارَاةٍ جَيِّدَةٍ . كَيْفَ يُمَكِّنُنِي تَجَنُّبُ الْمُبَارَاةِ السَّيِّئَةِ ؟ حَاوَلْتُ تَجَنُّبَهَا
بَعْدَهُ وَسَائِلَ ، سَأَصِفُ لَكَ بَعْضَهَا .

كُنْتُ أَعْرِفُ دَائِمًا مَتَى نَكُونُ عَلَى وَشِكِّ لَعِبِ مُبَارَاةٍ سَيِّئَةٍ ، إِذَا كَانَ
فِي اسْتِطَاعَتِي أَنْ أَشْعُرَ - مُقَدِّمًا - بِنَذِيرِ الشَّرِّ حَتَّى قَبْلَ بَدْءِ الْمُبَارَاةِ .
وَكَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي حَاوَلْتُهَا أَنِّي كُنْتُ أَقُومُ بِجَذْبِ الْقَابِسِ ، ثُمَّ إِدْخَالِهِ
فِي الْمَقْبَسِ بِسُرْعَةٍ ؛ وَبِذَلِكَ لَا تَسْنَحُ الْفُرْصَةُ لِبُولْدِي أَنْ يَلْعَبَ ، إِذَا
يَنْصَرِفُ بِمُجَرَّدِ أَنْ يَرْجِعَ الْقَابِسُ إِلَى مَكَانِهِ فِي الْمَقْبَسِ .

كَانَتْ مُفَاجَأَةً بِالنَّسْبَةِ لِبُولْدِي فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ اسْتَحْدَمْتُ فِيهَا هَذَا
الْأَسْلُوبَ ، فَقَدْ كَانَ أَسْلُوبًا نَاجِحًا تَمَامًا . وَلَكِنَّهُ آلَانَ لَا يُعْطِينِي آيَةَ فُرْصَةٍ
لِاسْتِخْدَامِهِ مَرَّةً أُخْرَى ، فَهُوَ يَعْلَمُ - مُقَدِّمًا - مَتَى سَالَجًا إِلَيْهِ .

حَاوَلْتُ طَرِيقَةً أُخْرَى (لِتَجَنُّبِ الْمُبَارَاةِ السَّيِّئَةِ) .. تَذَكَّرُ أَنْ بُولْدِي
يَسْكُنُ حُجْرَةَ نَوْمِي فَقَطْ ، وَلَا يَسْكُنُ أَيَّ جُزْءٍ آخَرَ فِي الْمَنْزِلِ أَبَدًا ، لِذَلِكَ
جَرَّبْتُ النَّوْمَ فِي حُجْرَاتِ الْمَنْزِلِ الْأُخْرَى ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ أَسْتَطِعْ عَنْ طَرِيقِ
هَذِهِ الْوَسِيلَةِ تَجَنُّبَ لَعِبِ مُبَارَاةٍ سَيِّئَةٍ !

وَفِي إِحْدَى اللَّيَالِي كُنْتُ نَائِمًا فِي حُجْرَةِ مَكْتَبِي ، وَرَأَيْتُ حُلْمًا
غَرِيبًا .. رَأَيْتُ أَنِّي أَنَامُ فِي حُجْرَةِ مَكْتَبِي ، وَحَلَمْتُ أَنِّي أَنْهَضُ مِنَ
النَّوْمِ ، وَأَذْهَبُ إِلَى حُجْرَةِ نَوْمِي ، ثُمَّ أَجْلِسُ فِي سَرِيرِي ، وَأَقْرَأُ كِتَابًا

عَلَى ضَوْءِ الْمِصْبَاحِ . وَرَأَيْتُ فِي الْحُلْمِ أَنِّي أُجَذَّبُ الْقَابِسَ مِنَ
الْمَقْبَسِ .. ثُمَّ فَجَاءَ اسْتِيقَظُ ! لَمْ أَكُنْ فِي حُجْرَةِ مَكْتَبِي حِينَ اسْتِيقَظْتُ ،
بَلْ كُنْتُ فِي حُجْرَةِ نَوْمِي ، أَمِيلُ بِجِسْمِي عَلَى حَافَةِ السَّرِيرِ ، وَكَانَ
الْقَابِسُ فِي يَدِي .. لَقَدْ مَشَيْتُ وَأَنَا نَائِمٌ . فَعَلَهَا بُولْدِي ، لَقَدْ
اسْتَدْرَجَنِي - أَثْنَاءَ الْحُلْمِ - إِلَى حُجْرَةِ النَّوْمِ .

جَرَّبْتُ شَيْئًا آخَرَ .. حَاوَلْتُ أَلَّا أَلْعَبَ الْمُبَارَاةَ ؛ فَفِي إِحْدَى اللَّيَالِي
جَلَسْتُ فِي الْفِرَاشِ - وَالنُّورُ مُضَاءٌ - ثُمَّ أَطْفَأْتُ النُّورَ بِاسْتِخْدَامِ
الْمِفْتَاحِ ، وَطَبَقًا لِلْقَاعِدَةِ لَمْ يَظْهَرْ بُولْدِي . وَاسْتَعْرِقْتُ فِي النَّوْمِ بِشَكْلِ
طَبِيعِي ، وَبَعْدَ مُرُورِ جُزْءٍ مِنَ اللَّيْلِ اسْتِيقَظْتُ فَجَاءَ وَضَعْتُ عَلَى مِفْتَاحِ
النُّورِ .. لَا أَعْرِفُ - حَتَّى الْآنَ - لِمَ فَعَلْتُ ذَلِكَ ؟ ! وَلَكِنْ فِي ذَلِكَ
الْوَقْتِ كُنْتُ أَشْعُرُ وَكَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَقُومَ بِذَلِكَ ، ثُمَّ جَذَبْتُ الْقَابِسَ
خَارِجَ الْمَقْبَسِ ، وَهَكَذَا بَدَأَتِ الْمُبَارَاةُ .. حَدَّثَ هَذَا عِدَّةَ مَرَّاتٍ .

فَقَدْ تَسَأَلَنِي : لِمَ لَا تَبِيعُ الْمَنْزِلَ وَتَرْحَلْ ؟ ! لَقَدْ سَأَلْتُ نَفْسِي هَذَا
السُّؤَالَ أَيْضًا .. فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ لَا أَسْتَطِيعُ . لَقَدْ فَكَّرْتُ فِي ذَلِكَ كَثِيرًا ،
وَلَكِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِذَلِكَ .. وَلَكِنْ جَرَّبْتُ شَيْئًا آخَرَ ، لَقَدْ تَرَكْتُ
الْمَنْزِلَ عِنْدَمَا حَلَّ اللَّيْلُ وَذَهَبْتُ إِلَى فُنْدُقٍ . وَلَكِنْ حِينَ كُنْتُ أَفْعَلُ ذَلِكَ
لَمْ أَكُنْ أَسْتَطِيعُ النَّوْمَ ، وَدَائِمًا كُنْتُ أَغَادِرُ الْفُنْدُقَ أَثْنَاءَ اللَّيْلِ ، وَأَقُومُ
بِتَسْدِيدِ الْفَاتُورَةِ - مَثَلًا - فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ صَبَاحًا ، ثُمَّ أَتَوَجَّهُ لِلْمَنْزِلِ .

لَيْسَ الْأَمْرُ سَهْلًا أَنْ تُغَادِرَ الْفُنْدُقَ فِي الرَّابِعَةِ صَبَاحًا ! (يُمَكِّنُكَ أَنْ تُجَرَّبَ وَتَتَحَقَّقَ بِنَفْسِكَ مِنْ ذَلِكَ !) وَبَعْدَ ذَلِكَ أَتَوَجَّهُ إِلَى السَّرِيرِ ، وَالْعَبَّ مُبَارَاةً مَعَ بُولَدِي . لَعَلَّكَ تَرَى الْآنَ أَنَّنِي لَا أُسْتَطِيعُ - أَبَدًا - أَنْ أَتَجَنَّبَ آلَا شِرَاكَ فِي مُبَارَاةٍ ، فَدَائِمًا يَجِدُ بُولَدِي وَسِيلَةً مَا يَسْتَدْرِجُنِي بِهَا ، وَيَعُودُ بِي إِلَى حُجْرَةِ نَوْمِي .

مُنْذُ حَوَالِي سَنَةٍ تَقْرِيًّا ، كُنْتُ وَبُولَدِي قَدْ لَعَبْنَا مُبَارَاةَ سَيِّئَةٍ عَدِيدَةٍ ، وَلَكِنْ فِي كُلِّ تِلْكَ الْمُبَارَاةِ لَمْ يَحْدُثْ أَنْ لَمَسَنِي بُولَدِي . لَقَدْ حَاوَلْتُ الْإِمْسَاكَ بِبَعْضِ الْأَشْيَاءِ ، وَحَاوَلْتُ « لَمْسَهُ » عَنْ طَرِيقِهَا ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْمَسْنِي قَطُّ ، وَكَانَ ذَلِكَ يُمَثِّلُ قَانُونًا . وَعَلَى ذَلِكَ ، عِنْدَمَا لَمَسَنِي بُولَدِي لِأَوَّلِ مَرَّةٍ ، لَا أُسْتَطِيعُ وَصْفَ الْفَرْعِ وَالرُّعْبِ الَّذِي اسْتَبَدَّ بِي حِينَئِذٍ .

لَقَدْ حَدَثَ كُلُّ ذَلِكَ فِي إِحْدَى اللَّيَالِي مُنْذُ سَنَةٍ تَقْرِيًّا ، عِنْدَمَا ذَهَبْتُ إِلَى الْفِرَاشِ فِي السَّاعَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ ، وَكُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّهَا سَتَكُونُ لَيْلَةً سَيِّئَةً وَلَيْسَتْ طَيِّبَةً .

كُنْتُ أَشْعُرُ بِذَلِكَ ، وَقَرَأْتُ لِسَاعَاتٍ طَوَالَ لَيْلَتِي لَمْ أَكُنْ أُرِيدُ أَنْ أَخْرِجَ الْقَابِسَ مِنْ مَقْبِسِهِ ، وَلَكِنِّي شَعَرْتُ فِي النَّهَايَةِ بِمِيلٍ شَدِيدٍ لِلنَّوْمِ ، وَبِطَبِيعَةِ الْحَالِ لَمْ أُسْتَطِعِ النَّوْمَ . مِلْتُ عَلَى جَانِبِ السَّرِيرِ بِطَرِيقَتِي الْمُعْتَادَةِ ، وَجَذَبْتُ الْقَابِسَ مِنَ الْمَقْبِسِ ، وَفِي الْحَالِ كَانَتْ عَيْنَايَ

مَفْتُوحَتَيْنِ عَلَى اتِّسَاعِهِمَا ، وَكُنْتُ مُسْتَقِظًا تَمَامًا . كَانَ بُولَدِي مُوجُودًا ، وَكُنَّا مُسْتَعِدَّيْنِ لِلْمُبَارَاةِ . وَفِي الْمُبَارَاةِ السَّيِّئَةِ لَا يُعْطَى بُولَدِي - عَادَةً - إِشَارَةً تَدُلُّ - بوضوح - عَلَى وُجُودِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أُعْطِيَ - فِي الْحَالِ - إِشَارَةً وَاضِحَةً تَمَامًا .

اسْتَلَقَيْتُ فِي الْفِرَاشِ مَدْعُورًا ، وَانْتِظَرْتُ ؛ فَلَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ لِلْحُظَّةِ ، ثُمَّ وَجَدْتُ السَّرِيرَ يَتَحَرَّكُ . وَلَمْ يَكُنْ بُولَدِي يَهْزُ السَّرِيرَ ، بَلْ كَانَ يَرْفَعُهُ بَعِيدًا عَنِ الْأَرْضِيَّةِ ! كَانَ السَّرِيرُ يَرْتَفِعُ فِي الْهَوَاءِ . مِلْتُ بِجِسْمِي عَلَى جَانِبِ السَّرِيرِ ، وَحَاوَلْتُ أَنْ أَلْمَسَ أَرْضِيَّةَ الْحُجْرَةِ . كَانَ السَّرِيرُ - عَلَى مَا أَعْتَقِدُ - بَعِيدًا عَنْهَا بِحَوَالِي ثَلَاثِ أَقْدَامٍ . ثُمَّ بَدَأَ السَّرِيرُ يَدُورُ ، وَأَخَذَ يَدُورُ وَيَدُورُ - بِبُطْءٍ أَوَّلَ الْأَمْرِ - ثُمَّ بِسُرْعَةٍ .. وَبِسُرْعَةٍ أَكْبَرَ ! وَفَجْأَةً تَوَقَّفَ عَنِ الدَّوْرَانِ فِي الْهَوَاءِ ، وَوَقَعَ بِسُرْعَةٍ عَلَى أَرْضِيَّةِ الْحُجْرَةِ ..

لَمَسَ السَّرِيرُ الْأَرْضِيَّةَ بِخِفَةٍ ، ثُمَّ اتَّخَذَ مَكَانَهُ الْمُعْتَادَ : رَأْسُ السَّرِيرِ مُلَاصِقٌ لِلْحَائِطِ ، وَالْمِنْضَدَةُ بِجَوَارِي . وَحَاوَلْتُ أَنْ أَصِلَ إِلَى الْقَابِسِ ، فَتَحَسَّسْتُ الْأَرْضِيَّةَ بِأَصَابِعِي وَوَجَدْتُهُ ، وَحَاوَلْتُ أَنْ أُعِيدَهُ إِلَى مَكَانِهِ فِي الْمَقْبِسِ ، فَإِذَا بِبُولَدِي يَضْرِبُ بِشِدَّةٍ عَلَى يَدِي ! اسْقَطْتُ الْقَابِسَ بِفَرْعٍ ، وَلَمْ يَحْدُثْ مِنْ قَبْلِ أَنْ لَمَسَنِي بُولَدِي ، وَلَكِنَّهُ الْآنَ صَفَعَنِي !

اسْتَلْقَيْتُ عَلَى ظَهْرِي فِي الْفِرَاشِ ، وَكَانَ الْهَدْوُ يَسُودُ الْحُجْرَةَ ؛
السَّرِيرُ لَا يَتَحَرَّكُ ، وَإِذَا بِي أَشْعُرُ بِشَيْءٍ فَوْقَ رَأْسِي ، شَيْءٌ أَشْبَهَ بِطَائِرٍ !
وَضَعْتُ يَدِي عَلَى رَأْسِي .. مَا مِنْ شَيْءٍ ! ثُمَّ شَعَرْتُ بِشَيْءٍ يَلْمِسُ
شَعْرِي بِلُطْفٍ ؛ مِثْلَ يَدٍ نَاعِمَةٍ ، كَأَنَّهُ أَصَابِعُهَا تَتَخَلَّلُ شَعْرِي .

قَفَزْتُ مُبْتَعِدًا عَنِ السَّرِيرِ ، وَجَرَيْتُ صَوْبَ الْجَانِبِ الْآخِرِ لِلْحُجْرَةِ ،
فَسَمِعْتُ وَقَعَ خُطَوَاتٍ خَلْفِي ؛ فَاسْتَدْرْتُ .. كَانَ بُولَدِي خَلْفِي . دُرْتُ
حَوْلَ نَفْسِي ، ثُمَّ دُرْتُ مَرَّةً أُخْرَى ، وَلَكِنَّ بُولَدِي كَانَ دَائِمًا خَلْفِي ،
وَإِذَا بِهِ يَصْفَعُنِي عَلَى وَجْهِهِ ! ثُمَّ بَدَأَ يَقْرُصُنِي ، بِلُطْفٍ فِي بَادِي الْأَمْرِ :
فَرَصَةً صَغِيرَةً فِي الْوَجْهِ ، فَرَصَةً نَاعِمَةً ، وَبَدَأَ بَعْدَ ذَلِكَ يَقْرُصُ بِشِدَّةٍ
ذِرَاعِي وَرِجْلِي . كُنْتُ أَرْكُلُ بِقَدَمِي وَأَصْبِيحُ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ إِيقَافَهُ ؛
فَقَفَزْتُ عَائِدًا إِلَى السَّرِيرِ ، وَ .. لَنْ تُصَدِّقَ مَا حَدَّثَ .. عَضُّ بُولَدِي
وَجْهِي بِشِدَّةٍ ! صَرَخْتُ مُتَأَلِّمًا ؛ وَمِلْتُ بِجِسْمِي عَلَى جَانِبِ السَّرِيرِ ،
وَتَحَسَّسْتُ الْأَرْضِيَّةَ .. تَحَسَّسْتُهَا بِقَلْقٍ ، بَاجِثًا عَنِ الْقَابِسِ ، وَأَخِيرًا
كَانَتْ يَدِي تَقْبِضُ عَلَيْهِ .

حَاوَلْتُ أَنْ أُبَحِّثَ عَنِ الْمَقْبَسِ .. تَحَسَّسْتُ الْحَائِطَ بِأَصْبَعِي .. لَمْ
يُمْكِنِّي الْخَوْفُ وَالْفَزَعُ مِنَ الْعُثُورِ عَلَى مَكَانِهِ . كُنْتُ أَصْبِيحُ : « يَا إِلَهِي !
أَيْنَ هُوَ ؟ أَيْنَ الْمَقْبَسُ ؟ » كَأَنَّهُ هُنَاكَ قُوَّةٌ جَبَّارَةٌ تُحَاوِلُ انْتِزَاعَ الْقَابِسِ

مِنْ يَدِي ، وَلَكِنِّي كُنْتُ قَوِيًّا بِخَوْفِي ! .. كُنْتُ أَقْوَى مِنْ بُولَدِي . دَفَعْتُ
الْقَابِسَ - بِكُلِّ قُوَّتِي - دَاخِلَ الْمَقْبَسِ ؛ فَعَمَرَ الضَّوُّ الْحُجْرَةَ . وَفَجْأَةً
أَصْبَحْتُ وَحِيدًا ؛ فَتَنَفَّسْتُ الصُّعْدَاءَ ، بَيْنَمَا قَلْبِي كَانَ يَدُقُّ بِشِدَّةٍ ،
وَجِسْمِي يَرْتَعِدُ مِنَ الْفَزَعِ وَالْخَوْفِ .

كَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ عَصِيْبَةً لِلْغَايَةِ ، وَكَانَتْ هَذِهِ هِيَ الْمَرَّةَ الْأُولَى الَّتِي
لَمَسَنِي فِيهَا بُولَدِي ، وَبَعْدَهَا لَمَسَنِي كَثِيرًا .. أحيانًا بِأَصَابِعِهِ ، وَبِطَرِيقَةٍ
نَاعِمَةٍ ، وَأحيانًا أُخْرَى كَانَ يَقْرُصُنِي أَوْ يَصْفَعُنِي أَوْ يَرْكُلُنِي .

لَمْ تَعُدِ الْمُبَارَاةُ مُجَرَّدَ لُغْبَةٍ سَيِّئَةٍ ، بَلْ تَحَوَّلَتْ إِلَى لُغْبَةٍ خَطِرَةٍ ! كَمَا
ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ قَبْلُ ، أَيُّهَا الْقَارِئُ ، بَدَأْنَا نَلْعَبُ مَعًا مُبَارَاةَ سَيِّئَةٍ ،
تَزْدَادُ سَوْءًا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، غَيْرَ أَنَّ عَدَدَ الْمُبَارَاةِ السَّيِّئَةِ كَانَ مُسَاوِيًا
لِعَدَدِ الْمُبَارَاةِ الْجَيِّدَةِ .

كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ مِنْ سَنَةِ مَضَتْ ، وَلَكِنَّ بَعْدَ أَنْ لَمَسَنِي بُولَدِي -
لِأَوَّلِ مَرَّةٍ - أَصْبَحَ الْأَمْرُ مُخْتَلِفًا بَعْضَ الشَّيْءِ ، فَلَمْ يَحْدَثْ بَعْدَ ذَلِكَ
أَنْ لَعَبْنَا مُبَارَاةً وَاحِدَةً جَيِّدَةً . فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ لَمْ نَكُنْ نَلْعَبُ
إِلَّا مُبَارَاةَ سَيِّئَةٍ كُلَّ لَيْلَةٍ ! كَأَنَّهُ كُلُّ مُبَارَاةٍ سَيِّئَةٍ ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَتِمَّ
بِطَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ .

لَقَدْ أَصْبَحَ بُولَدِي شَخْصًا شَرِيرًا تَمَامًا ، وَلَا يُظْهَرُ لِي مِنْ شَخْصِيَّتِهِ

إِلَاجَانِهَا الشَّرِيرَ ، وَأَصْبَحَتْ حُجْرَةُ نَوْمِي مَكَانًا شَرِيرًا ، يَمْتَلِئُ بِالشَّرِّ نَهَارًا ، حَتَّى حِينَ لَا يَكُونُ بُولَدِي مُوجُودًا . كَانَ مَكَانًا شَرِيرًا طَوَالَ الْوَقْتِ ! لَكِنْ مَا الْعَمَلُ ؟ ! لَسْتُ أَدْرِي ! بِبَسَاطَةٍ لَا أَدْرِي !

حَتَّى شَهْرٍ مَضَى ، كُنْتُ عَلَى مَائِرَامَ طَوَالَ النَّهَارِ . كُنْتُ أَذْهَبُ إِلَى حُجْرَةِ مَكْتَبِي كُلَّ يَوْمٍ وَأَكْتُبُ ، وَكَانَ هَذَا يَشْغُلُ ذَهْنِي عَنْ أَمْرِ بُولَدِي ، وَكُنْتُ أَشْغَلُ تَفْكِيرِي فِي أَلِيحْتِ عَنْ مُغَامِرَاتٍ جَدِيدَةٍ لِفِيلْبَرْتِ وَإِيلِي ، وَكَانَ هَذَا مَصْدَرَ سَعَادَتِي .

وَلَكِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَعْمَلَ طِيلَةَ الشَّهْرِ الْمَاضِي . وَمَازَلْتُ أَتَوَجَّهُ لِحُجْرَةِ مَكْتَبِي كُلَّ يَوْمٍ ، وَلَكِنِّي أَجْلِسُ إِلَى مَكْتَبِي ، ثُمَّ أَنْظُرُ خَارِجَ النَّافِذَةِ .. لَا أَكْتُبُ شَيْئًا .. إِنِّي أَنَامُ قَلِيلًا ، وَأَكُلُ قَلِيلًا جِدًّا . أَصْبَحْتُ نَحِيفًا وَضَعِيفًا .. وَلَكِنِّي أَكْتُبُ الْيَوْمَ .. إِنِّي آلَانَ مِنْهُمْ فِي كِتَابَةِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ . إِنِّي أَكْتُبُ بِسُرْعَةٍ ، قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ الْأَوَانُ .. نَعَمْ يَجِبُ أَنْ أَكْتُبَ هَذِهِ الْقِصَّةَ الَّتِي تُحْكِي حَيَاتِي مَعَ بُولَدِي ، قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ الْأَوَانُ .

قَدْ تَسْأَلُ : لِمَ لَا تُخْبِرُ لُويْسَ بِهَذَا الْأَمْرِ ؟ فَمَا زَالَ لُويْسَ يَزُورُنِي كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعَاءَ ، وَ مَا زِلْنَا نَلْعَبُ الشَّطْرَنْجَ ، وَلَكِنِّي لَا أَلْعَبُ آلَانَ بِمَهَارَةٍ .. وَهُوَ دَائِمًا يَهْزِمُنِي . إِنِّي أَشْعُرُ دَائِمًا بِالتَّعَبِ وَالْقَلَقِ .

فِي الْأُسْبُوعِ الْمَاضِي سَأَلَنِي لُويْسَ : « مَاذَا بِكَ يَا وَلِيمَ ؟ » إِنِّي لَمْ

أَعُدُّ أَفْهَمَكَ . إِنَّكَ مَرِيضٌ ؛ وَلَا بُدَّ لَكَ مِنْ عَرَضِ نَفْسِكَ عَلَى طَيْبٍ . إِنِّي قَلِقٌ عَلَيْكَ ، وَإِذَا لَمْ تَسْتَدْعِرْ طَيْبًا ، فَسَأَسْتَدْعِيهِ بِنَفْسِي . »

لَا أَسْتَطِيعُ - بِطَبِيعَةِ الْحَالِ - أَنْ أَسْمَحَ لِلُويْسَ بِاسْتِدْعَاءِ الطَّيِّبِ ؛ فَقُلْتُ : « اِسْمَعْ يَا لُويْسَ .. أَغْرِفُ أَنَّي لَسْتُ عَلَى مَائِرَامَ ، وَلَكِنْ حَالِي سَيَتَحَسَّنُ قَرِيبًا . إِنِّي مِنْهُمْ آلَانَ فِي كِتَابَةِ قِصَّةٍ غَرِيبَةٍ جِدًّا عَنْ فِيلْبَرْتِ وَإِيلِي ، وَسَأَتَحَسَّنُ - بِالتَّأَكُّيدِ - عِنْدَ انْتِهَائِي مِنْ كِتَابَتِهَا . أَغْرِفُ ذَلِكَ يَقِينًا ، وَلِذَلِكَ أَرْجُوكَ أَلَّا تَسْتَدْعِيَ طَيْبًا . أَتَعُدُّنِي بِذَلِكَ ؟ »

قَالَ لُويْسَ : « حَسَنًا يَا وَلِيمَ ، أَعِدُّكَ بِذَلِكَ . »

إِنَّ لُويْسَ صَدِيقٌ مُخْلِصٌ ، وَأَغْرِفُ أَنَّهُ سَيَقِي بِوَعْدِهِ .

قَدْ تَسْأَلُ - أَيُّهَا الْقَارِئُ - : هَلْ حَاوَلْتُ أَنْ تُخْبِرَ لُويْسَ بِأَمْرِ بُولَدِي ؟ نَعَمْ ، فَعَلْتُ .. حَاوَلْتُ عِدَّةَ مَرَّاتٍ .. وَلَكِنْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ كُنْتُ أَعْجُزُ عَنِ الْكَلَامِ . حَاوَلْتُ أَنْ أَطْلُبَ مِنْ لُويْسَ أَنْ يَبْقَى مَعِي فِي الْمَنْزِلِ لَيْلَةً كَامِلَةً ، وَلَكِنِّي لَمْ أَتِمَّكُنْ . فَعِنْدَمَا كُنْتُ أَحَاوِلُ فَتْحَ فَمِي ، لَمْ أَكُنْ أَقْوَى عَلَى ذَلِكَ ، بَلْ وَأَسْمَعُ - دَائِمًا - وَقَعَ خُطُوَاتِ آتِيَةٍ مِنَ الْحُجْرَةِ فِي الطَّابِقِ الْعُلَوِيِّ . كُنْتُ أَسْمَعُ - دَائِمًا - تَحْذِيرًا صَادِرًا عَنْ بُولَدِي ، وَدَائِمًا تَرُدُّ عَلَى ذَهْنِي الْكَلِمَاتُ : « هَذَا سِرُّنَا ! » قَدْ تَكُونُ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ صَادِرَةً مِنْ صَوْتِ حَقِيقِي ؛ لَعَلَّهُ صَوْتُ بُولَدِي يَتَحَدَّثُ بِلُطْفٍ ، وَلَكِنَّهُ

يَحْمِلُ - دَائِمًا - تَحْذِيرًا لِي .

فِي أَحَدِ أَيَّامِ الْأَرْبَعَاءِ - مِنْذُ شَهْرَيْنِ تَقْرِيًا - كُنْتُ اللَّعْبُ الشَّطْرَنْجِ
مَعَ لُويْسَ ، وَكُنْتُ مُتَعَبًا جَدًّا ، فَقَدْ كَانَتْ اللَّيْلَةُ الْمَاضِيَّةُ عَصِيْبَةً لِلْغَايَةِ .
وَحَاوَلْتُ أَنْ اللَّعْبُ ، وَلَمْ أَكُنْ أَفْكَرُ فِي بُولْدِي ، غَيْرَ أَنَّ لُويْسَ ذَكَرَ اسْمَ
بُولْدِي فَجَاءَتْ ، وَبَدَأَ يُحَدِّثُنِي أَثْنَاءَ الْمُبَارَاةِ .

قَالَ لُويْسَ : « وَلَيْمَ ، كُنْتُ بِالْأَمْسِ فِي الْمَكْتَبَةِ ، وَكُنْتُ أَبْحَثُ عَنْ
آخِرِ مُؤَلَّفَاتِكَ .. قِصَصِ فِيلْبِرْتِ وَإِيلِي ، إِنِّي أَذْكُرُ أَنَّكَ حَدَّثْتَنِي - ذَاتَ
مَرَّةٍ ، لَعَلَّهَا مِنْذُ خَمْسِ سَنَوَاتٍ - عَنْ شَخْصِيَّةٍ جَدِيدَةٍ .. إِنَّكَ أُعْطِيتَ
هَذِهِ الشَّخْصِيَّةَ اسْمَ بُولْدِي . لَمْ أَتَسَّ قَطُّ اسْمَ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ ، لِأَنَّهُ
اسْمٌ غَرِيبٌ . إِنِّي لَا أَمِيلُ إِلَيْهِ ، وَلَكِنِّي تَذَكَّرْتُهُ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ .. وَقَدْ
اشْتَرَيْتُ جَمِيعَ مُؤَلَّفَاتِكَ الْأَخِيرَةِ ، وَقَرَأْتُهَا جَمِيعًا ؛ وَاسْتَمْتَعْتُ بِهَا ، إِلَّا
أَنَّيْ لَمْ أَتَقَنَّ بِهَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ - شَخْصِيَّةِ بُولْدِي - فِي أَيِّ مِنْهَا . »

شَحَبَ وَجْهِي ، وَكَانَ بُولْدِي يَدُقُّ بِشِدَّةٍ عَلَى أَرْضِيَّةِ الْحُجْرَةِ فِي
الطَّابِقِ الْعُلَوِيِّ . كُنْتُ أَسْمَعُهُ ، وَلَكِنَّ لُويْسَ لَمْ يَكُنْ فِي مَقْدُورِهِ ذَلِكَ .
وَفِي النِّهَايَةِ قُلْتُ : « نَعَمْ يَا لُويْسَ ، لَمْ أَسْتَخْدِمِ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةَ فِي
قِصَّتِي ، لَقَدْ غَيَّرْتُ الْقِصَّةَ . »

سَأَلَ لُويْسَ : « لِمَذَا ؟ إِنِّي أَذْكُرُ أَنَّهُ كَانَ شَخْصِيَّةً مُنْتَعَةً ،

بِجَانِبَيْهَا .. الْخَيْرُ وَالشَّرُّ . »

صَيَّحْتُ : « كَلَّا ، بَلْ هُوَ شَرٌّ ! شَرٌّ ! شَرٌّ خَالِصٌ ! »

ارْتَفَعَ صَوْتُ الدَّقِّ الصَّادِرِ مِنْ أَرْضِيَّةِ الْحُجْرَةِ فِي الطَّابِقِ الْعُلَوِيِّ . كَانَ
أَشْبَهُ بِرَقْصِ مَحْمُومٍ ، وَسَمِعْتُ التَّحْذِيرَ .. وَاسْتَجَمَعْتُ نَفْسِي ، وَقُلْتُ
فِي صَوْتٍ هَادِيٍّ : « إِنِّي آسِفٌ . نَعَمْ ! لَمْ أَسْتَخْدِمِ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةَ . »
(لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَلْفِظَ اسْمَ بُولْدِي) .

وَاصَلْنَا لَعِبَ الشَّطْرَنْجِ ، وَانْتَهَتْ الْمُبَارَاةُ بِالطَّرِيقَةِ الْمُعْتَادَةِ ، وَقَالَ
لُويْسَ : « مَاتَ الْمَلِكُ . » وَخَسِرْتُ مَلِكِي ، وَانْتَهَتْ الْمُبَارَاةُ . وَتَمَنَّى
لِي لُويْسَ لَيْلَةً بَعِيدَةً ، وَانْصَرَفَ .

أَنْزَلَ بُولْدِي بِي عِقَابًا حَقِيقِيًّا تِلْكَ اللَّيْلَةَ : قَرَصَنِي وَرَكَكَنِي ، وَصَدَعَنِي
وَالْعَرِيبُ أَنَّ كُلَّ هَذِهِ الْأَفْعَالِ لَا تَتْرُكُ آيَةً آثَارَ عَلَى جِسْمِي أَبَدًا . وَكَثِيرٌ
مَا أَشْعُرُ بِالْأَمْرِ فَظْلَعَةٍ ، وَلَكِنْ دُونَ أَنْ يَكُونَ عَلَى جِسْمِي أَثَرٌ .

وَتَوَصَّلْتُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ إِلَى اكْتِشَافِي الرَّابِعِ الْهَامِّ : لَمْ يَكُنْ بُولْدِي
يَمِيلُ لِلُويْسَ وَلَا كَانَ يَرْغَبُ فِي حُضُورِهِ إِلَى مَنْزِلِي . كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَرِدَ
بِي طَوَالَ الْوَقْتِ ، وَكَانَتْ مُبَارَاةُ أَمَاسِي الثَّلَاثَاءِ - وَهِيَ الْأَمَاسِيَّةُ الَّتِي
تَسْبِقُ زِيَارَةَ لُويْسَ لِي - دَائِمًا عَصِيْبَةً لِلْغَايَةِ .

لَمْ أَعُدْ أَسْتَمْتِعْ بِأَمَاسِي الثَّلَاثَاءِ ، بَلْ أَخْشَاهَا .. وَالْيَوْمُ هُوَ يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ .

الفصل السادس

مساء الاثنين

أودُّ أَنْ أَحْكِي لَكَ عَنْ لَيْلَةِ الْأَمْسِ بِالتَّفْصِيلِ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَحْدُثْ أَنْ
لَعَبْنَا - مِنْ قَبْلُ - مُبَارَاةً خَطِيرَةً ، كَالَّتِي لَعَبْنَاهَا بِالْأَمْسِ . إِنِّي لَأُرْتَعِدُ
بِمُجَرَّدِ التَّفَكِيرِ فِيهَا ، بَلْ إِنِّي أُرْتَعِدُ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ الَّتِي يَخْطُ فِيهَا قَلَمِي
هَذِهِ السُّطُورَ !

سَابِقًا مِنَ الْبَدَايَةِ . بِالْأَمْسِ كُنْتُ جَالِسًا فِي حُجْرَةٍ مَكْنِي طَوَالَ
الْيَوْمِ ، وَ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ لَمْ أَكْتُبْ كَلِمَةً وَاحِدَةً ، وَ لَمْ أَحَاوِلْ كِتَابَةَ أَيِّ
شَيْءٍ . إِنْ فِيلَبَرْتِ وَإِيلِي لَا يُبِيرُ تَفْكَيرِي أَوْ أَهْتِمَامِي ، وَ لَمْ تَعُدْ مُعَامِرَاتُهُ
تُعْنِي شَيْئًا - بِالْمَرَّةِ - بِالنَّسْبَةِ لِي .

إِذَا فَكَيْفَ قَضَيْتُ الْيَوْمَ ؟ كُنْتُ أَنْظُرُ مِنَ النَّافِذَةِ طَوَالَ الْيَوْمِ . نَحْنُ
الْآنَ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَالطَّقْسُ لَيْسَ بَارِدًا جِدًّا ، وَكَانَتْ
السَّمَاءُ صَافِيَةً بِالْأَمْسِ . كَانَتْ الشَّمْسُ سَاطِعَةً وَسَطَ السَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ ،
وَ كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى حَدِيقَتِي .. كَانَتْ هَادِئَةً وَخَالِيَةً ، وَالْحَشَائِشُ نَدِيَّةً ، أَمَّا
الْأَشْجَارُ فَقَدْ نَضَتْ عَنْهَا أَوْرَاقُهَا .

لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ طَوَالَ الْيَوْمِ ، لَمْ أَرْ غَيْرَ شَيْءٍ وَاحِدٍ يُبَشِّرُ بِالْحَيَاةِ :
قِطْعَةً سَوْدَاءَ تَمْشِي عَبْرَ الْحَشَائِشِ . وَقَفَتْ الْقِطْعَةُ تَحْتَ نَافِذَةِ حُجْرَةٍ

نُومِي ، ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى أَعْلَى نَحْوِ النَّافِذَةِ لِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ ، ثُمَّ أَنْصَرَفْتُ فِي
هُدُوءٍ . إِنِّي أَذْكُرُ جَيِّدًا تِلْكَ الْقِطْعَةَ ، لَقَدْ رَأَيْتُهَا مِنْ قَبْلُ ، لَقَدْ سَمِعْتُهَا
فِي حَدِيقَتِي مُنْذُ سَنَوَاتٍ - كَانَ ذَلِكَ عِنْدَمَا بَدَأْتُ لُعْبَتِي مَعَ بُولْدِي
تَسْوَةً .

لَمْ تَعُدْ الْقِطْعَةُ تُقْلِقُنِي الْآنَ ، لَمْ تَعُدْ ذَاتَ أَهْمِيَّةٍ ، فَقَدْ كَانَ مَصْدَرُ
قَلْقِي الْوَحِيدُ هُوَ بُولْدِي .

لَعَلَّكَ تَرَى أَنَّهُ لَاحَاجَةٌ لِلْقَلْقِ وَ أَنَّ بَامَكَانِي مُغَادَرَةَ الْمَكَانِ لِلْأَبَدِ ،
فَلَسْتُ مُلْزَمًا بِاللُّعْبِ مَعَ شَبَحٍ ، إِلَّا أَنِّي أُرْعَبُ فِي ذَلِكَ !

إِنَّ هَذِهِ اللَّعْبَةَ تُشَكِّلُ جُزْءًا مِنْ حَيَاتِي ، وَ هِيَ تَسْتَحْذُو - دَائِمًا - عَلَى
تَفْكَيرِي ، لِذَلِكَ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ أَبْقِيَ هُنَا حَتَّى النِّهَايَةِ .

أَعْلَمُ أَنِّي أَثَرْتُ فُضُولَكَ ، وَ أَنَّكَ تَوَدُّ أَنْ تَعْرِفَ أَحْدَاثَ اللَّيْلَةِ
الْمَاضِيَةِ ، إِلَّا أَنَّكَ لَا بُدَّ أَنْ تُتِيحَ لِي وَقْتًا كَافِيًا ، حَتَّى أَتِمَّكَ مِنْ تَرْتِيبِ
وَقَائِعِهَا بِالشَّكْلِ الْمُنَاسِبِ ، فَقَدْ حَدَّثْتُ أُمُورَ كَثِيرَةً ، وَ أُرِيدُ أَنْ أَذْكُرَهَا
جَمِيعًا .

ظَلَّتِ السَّمَاءُ صَافِيَةً أَثْنَاءَ اللَّيْلِ ، وَكَانَ الْقَمَرُ بَدْرًا ، فَقَدْ كَانَتْ اللَّيْلَةُ
شَبِيهَةً بِاللَّيْلَةِ الَّتِي قُمْتُ بِوَصْفِهَا مِنْ قَبْلُ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ . كُنْتُ سَعِيدًا
بِرُؤْيَةِ الْبَدْرِ ، فَقَدْ غَمَرَ حُجْرَتِي بِضَوْئِهِ ، وَ لَمْ أُسَدِلْ سِتَارَ النَّافِذَةِ قَبْلُ



تَوَجَّهِي لِلْفِرَاشِ . كُنْتُ أَسْتَمِيعُ بِصُحْبَةِ الْقَمَرِ . وَ فِي مُتَنَصِّفِ اللَّيْلِ تَقْرِيئًا
نَزَعْتُ الْقَابِسَ مِنَ الْمَقْبَسِ ؛ وَ فِي الْحَالِ بَدَأَتِ اللَّعْبَةُ .

فَاجَأَنِي بُولَدِي عِنْدَ بَدَايَةِ الْمُبَارَاةِ ، فَلَمْ يَبْدَأْ بِدَايَةِ سَيِّئَةٍ ، بَلْ بَدَأَهَا
بِشَكْلِ جَيِّدٍ ؛ حَتَّى إِنِّي لَمْ أَصَدِّقْ مَا حَدَّثَ ! ذَلِكَ لِأَنَّنَا لَمْ نَلْعَبْ مُبَارَاةً
جَيِّدَةً مُنْذُ فِتْرَةٍ طَوِيلَةٍ .

كُنْتُ أَشْعُرُ بِسَعَادَةٍ طَاقِيَةٍ أَثْنَاءَ اللَّعِبِ ، وَ لَمْ أَذْرِكْ أَنَّهَا خُدْعَةٌ - خُدْعَةٌ
ذَنِيئَةٌ !

فِي الْبَدَايَةِ الطَّيِّبَةِ لِلْمُبَارَاةِ نَمَّ بُولَدِي بِإِشَارَةٍ وَاضِحَةٍ عَنْ وُجُودِهِ ،
فَسَمِعْتُ طَرَقَةً فِي الْجَانِبِ الْآخِرِ لِلْحُجْرَةِ ، ثُمَّ بَدَأَ يَخْرُجُ نَحْوَ سَرِيرِي ،
بَيْنَمَا كُنْتُ أَحَاوِلُ التَّحِثُّ عَنْ الْقَابِسِ . كَانَ بُولَدِي قَدْ وَصَلَ إِلَى
سَرِيرِي ، وَ بَدَأَ يَهْزُهُ قَبْلَ أَنْ أَتِمَّكَنَ مِنْ إِيْلَاجِ الْقَابِسِ ، وَ بِذَلِكَ يَكُونُ
بُولَدِي قَدْ فَازَ بِهَذِهِ الْمُبَارَاةِ . ثُمَّ آمَتَّانَفْنَا اللَّعِبَ . وَ كُنْتُ دَائِمًا أَدْعُهُ
يَكْسِبُ أَثْنَاءَ الْمُبَارَاةِ الطَّيِّبَةِ ، وَ لَكِنِّي لَمْ أَتَسَاهَلْ مَعَهُ اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ ،
وَ إِنَّمَا فَازَ بِالْفِعْلِ . وَ كُنْتُ دَائِمًا أَجِدُ الْقَابِسَ ، وَ لَكِنَّ بُولَدِي كَانَ أَسْرَعَ
مَنِي .. وَ لَمْ يُسَبِّبْ لِي ذَلِكَ أَيَّ قَلْقٍ ، إِلَّا أَنَّ شَيْئًا حَدَّثَ فَجَاءَةً ،
وَ وَضَعَ نِهَايَةَ اللَّعِبِ الْجَيِّدِ .

بَدَأْتُ أُرْتَعِدُ ، وَ سَادَ حُجْرَتِي جَوٌّ بَارِدٌ ، بَلْ شَدِيدُ الْبُرُودَةِ ،

وَلَا أَعْرِفُ السَّبَبَ ، فَمَنْزِلِي دَافِقٌ دَائِمًا ، وَ أَنَا أُمُقْتُ الْبَرْدَ . لَقَدْ تَوَقَّعْتُ
الْمُبَارَاةَ الْجَيِّدَةَ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، وَ أَتَانِي - فَجَاءَةً - شُعُورٌ بِتَنْذِيرٍ شَرٍّ .
كُنْتُ بِحَاجَةٍ إِلَى الدَّفْعِ ، وَ لِذَلِكَ غَطَّيْتُ رَأْسِي بِالْأُغْطِيَةِ
وَ أَنْتَظَرْتُ .. وَ إِذَا بِيَدِي تَنْزِعُ الْأُغْطِيَةَ مِنْ فَوْقِ وَجْهِي . وَ جَلَسْتُ مُتَحَفِّزًا
أَزُقُّ مَا يَجْرِي . طَارَتْ أَغْطِيَتِي عَبْرَ الْحُجْرَةِ ، ثُمَّ سَقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِيَّةِ ،
وَ جَرَيْتُ خَلْفَهَا ، وَ لَكِنَّ حِينَ حَاوَلْتُ مَدَّ يَدِي نَحْوَهَا ، أَخَذْتُ تَبَتُّعًا
عَنِّي ، وَ كَانَ بُولَدِي يَقُولُ : « الْحَقُّ بِي إِنْ اسْتَطَعْتَ » ، وَ أَذْرَكْتُ أَنَّهُ
يُرِيدُ أَنْ يُلَاعِبَنِي لَعِبَةً : « سَاحَتِيٌّ وَ ابْحَثْ عَنِّي . » وَ قُلْتُ بِصَوْتٍ
مُرْتَفِعٍ : « فَلْيَكُنْ ، إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَلْعَبَ هَذِهِ اللَّعْبَةَ ، فَأَنَا عَلَى اسْتِعْدَادٍ ،

وَلَكِنْ أَرْجُوكَ أَنْ تُعِيدَ إِلَيَّ أَغْطِيَّتِي . » وَ طَارَتْ الْأَغْطِيَّةُ عَائِدَةً إِلَى سَرِيرِي ، فَقُلْتُ : « حَسَنًا ، وَ الْآنَ سَأَعُدُّ حَتَّى الْعَشْرَةِ ، حَتَّى تَحْتَبِي . » ثُمَّ أَذَرْتُ رَأْسِي صَوْبَ الْحَائِطِ ، وَ بَدَأْتُ أَعُدُّ : « وَاحِدٌ ، اِثْنَانِ ، ثَلَاثَةٌ .. » كُنْتُ أَعُدُّ بِطُءٍ ، وَ فِي اثْنَاءِ ذَلِكَ سَمِعْتُ وَقَعَ خُطُواتِ خَلْفِي ، بَلْ سَمِعْتُ كُلَّ ضُرُوبِ الْأَصْوَاتِ الْخَافِتَةِ ، ثُمَّ سَادَ الْحُجْرَةَ هُدُوءٌ تَامٌ ، وَ اسْتَدْرْتُ فِي مُوَاجَهَةِ الْحُجْرَةِ .

كَانَتْ الْحُجْرَةُ - بِطَبِيعَةِ الْحَالِ - خَالِيَةً تَمَامًا مِنْ أَيِّ شَخْصٍ ، وَ كَانَ بُولْدِي قَدْ احْتَبَأَ - مَثَلًا - تَحْتَ السَّرِيرِ أَوْ الْكُرْسِيِّ أَوْ فِي خِزانَةِ الْمَلَابِسِ . غَيْرَ أَنَّ بُولْدِي لَيْسَ إِلَّا شَبَحًا ، وَ فِي مَقْدُورِهِ الْإِخْتِبَاءُ فِي أَيِّ مَكَانٍ .. حَتَّى فِي دَاخِلِ أَحَدِ جُيُوبِي !

قُلْتُ : « أَنَا قَادِمٌ الْآنَ لِأَمْسِكَ بِكَ يَا بُولْدِي . »

ذَهَبْتُ مُبَاشَرَةً إِلَى خِزانَةِ الْمَلَابِسِ ، وَ فَتَحْتُ بَابَهَا بِطُءٍ ، وَ قَبْلَ أَنْ يَنْفَتِحَ الْبَابُ تَمَامًا ، أَدْخَلْتُ يَدِي بِحَذَرٍ فِي الْخِزانَةِ ، خَشْيَةً أَنْ يَعْضَنِي أَوْ يَصْفَعَنِي بُولْدِي ، وَ لَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ . وَ جَذَبْتُ الْبَابَ حَتَّى انْفَتَحَ عَلَى مِصْرَاعَيْهِ ؛ فَتَسَلَّلَ ضَوْؤُ الْقَمَرِ إِلَى دَاخِلِ خِزانَةِ الْمَلَابِسِ ، فَكَانَ بِاسْتِطَاعَتِي أَنْ أَرَى مَلَابِسِي بِدَاخِلِهَا ، وَ كَانَ بِاسْتِطَاعَتِي - أَيْضًا - أَنْ أَرَى فُسْتَانُ جُولِي الْجَمِيلَ .

تَحَسَّسْتُ جَمِيعَ مَلَابِسِي .. لَا شَيْءَ ! لَا بُدَّ أَنَّهُ مُخْتَبِئٌ دَاخِلَ

مِعْطَفِي . أَخْرَجْتُ الْمِعْطَفَ مِنَ الْخِزانَةِ وَنَفَضْتُهُ ؛ وَ مَرَّةً أُخْرَى .. لَا شَيْءَ ! صِحْتُ : « أَيْنَ أَنْتَ ؟ » وَ فِي دُغْرِ شَدِيدٍ أَخْرَجْتُ مَلَابِسِي ، الْقِطْعَةَ بَعْدَ الْأُخْرَى ، أَنْفَضْتُهَا ، ثُمَّ أَلْقَيْتُهَا عَلَى أَرْضِيَّةِ حُجْرَةِ نَوْمِي ، وَ سَرَعَانِ مَا تَجَمَّعَتْ كُلُّ مَلَابِسِي عَلَى الْأَرْضِيَّةِ . حَتَّى فُسْتَانُ جُولِي كَانَ عَلَى الْأَرْضِيَّةِ أَيْضًا .

كَانَتْ خِزانَةُ الْمَلَابِسِ خَالِيَةً تَمَامًا ، وَ مَعَ ذَلِكَ لَا أَثَرَ لِبُولْدِي .

صِحْتُ : « أَنْتَ تَحْتَ السَّرِيرِ ! » وَ جَثَوْتُ عَلَى الْأَرْضِ وَ رَحَفْتُ تَحْتَ السَّرِيرِ ، وَ تَحَسَّسْتُ الْأَرْضَ بِيَدِي .. لَا شَيْءَ هُنَاكَ . وَ جَلَسْتُ فِي النَّهَائَةِ عَلَى الْكُرْسِيِّ ، وَ انْتِظَرْتُ ، وَ كُنْتُ أَشْعُرُ أَنَّهُ بِالْحُجْرَةِ ، وَ لَكِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ الْعُثُورَ عَلَيْهِ .

بَقِيتُ جَالِسًا عَلَى الْمَقْعَدِ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ ، وَ شَعَرْتُ بِمَيْلٍ شَدِيدٍ لِلنَّوْمِ ، فَأَغْلَقْتُ عَيْنَيَّ ، وَ عِنْدَمَا فَتَحْتُهُمَا وَقَعْنَا عَلَى سَرِيرِي ، وَ هُنَا صَحَوْتُ تَمَامًا . كَانَ بُولْدِي قَدْ أَلْقَى بِالْأَغْطِيَّةِ عَلَى السَّرِيرِ مُنْذُ فِتْرَةٍ ، وَكَانَتْ الْأَغْطِيَّةُ لَا تَزَالُ فِي مَكَانِهَا ، لَكِنْ كَانَ تَحْتَهَا شَكْلُ شَخْصٍ رَفَعَ الْغِطَاءَ فَوْقَ رَأْسِهِ .

ذَهَبْتُ بِسُرْعَةٍ إِلَى السَّرِيرِ ، وَ لَمَسْتُ الْأَغْطِيَّةَ ؛ فَتَحَرَّكَ الشَّكْلُ تَحْتَهَا ، تَحَرَّكَ كَشَخْصٍ نَائِمٍ . وَ لَمَسْتُهَا مَرَّةً أُخْرَى ، فَتَفَضَّ الشَّكْلُ الْأَغْطِيَّةَ عَنْهُ . وَ لَمْ أَسْتَطِعْ رُؤْيَةَ شَيْءٍ ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ خُطَى سَرِيعَةً

الحُجْرَة .. كُنْتُ أَرَى الْمَلَائِسَ الَّتِي أَلْقَيْتَهَا هُنَاكَ ، وَ بَدَأَتْ الْمَلَائِسُ تَتَحَرَّكُ ! ثَمَّةَ شَخْصٍ يَلْتَقِطُهَا ، ثُمَّ يُلْقِيهَا مَرَّةً أُخْرَى ، قِطْعَةً بَعْدَ قِطْعَةٍ . وَكَانَتْ الْقُمُصَانُ تَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ ثُمَّ تَسْقُطُ . طَارَتْ بَنَظْلُونَاتِي ، وَ مِعْطَفِي ، وَ حُلَّتَايَ ، ثُمَّ سَقَطَتْ . لَمَعَ فُسْتَانُ جُولِي فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ ، ثُمَّ طَارَ وَ سَقَطَ أَيْضًا . وَكَانَ بُولَدِي يَبْحَثُ عَنِّي فِي جَمِيعِ الْمَلَائِسِ بِعِنَايَةٍ .

فَجَاءَ قِطْعَ بُولَدِي فَتْرَةَ الصَّمْتِ ، وَ انْفَتَحَ بَابُ الْخِزَانَةِ بِشِدَّةٍ . كَانَ يَدُقُّ عَلَى الْخِزَانَةِ بِشِدَّةٍ ، حَتَّى إِنَّهَا كَانَتْ تَرْتَجُّ ، ثُمَّ سَقَطَتْ وَ ارْتَطَمَتْ بِالْأَرْضِ مُحْدِثَةً صَوْتًا عَالِيًا . مَرَّةً أُخْرَى خِيَمَ عَلَى الْحُجْرَةِ صَمْتُ تَامٍ ، وَ كُنْتُ أَحِسُّ أَنْفَاسِي ، وَ أَسْمَعُ خُطُواتِهِ « الْعَرَجَاءِ » تَتَحَرَّكُ مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ لِلْحُجْرَةِ ، وَ تَقْتَرِبُ مِنَ السَّرِيرِ ، خُطْوَةً ، خُطْوَةً .. وَ يَبْطِئُ شَدِيدٍ . كُنْتُ أَحَاوِلُ أَلَّا أَصْرُخَ . وَ تَوَقَّفَ بُولَدِي بِجِوَارِ سَرِيرِي . سَرْتُ فِي جِسْمِي مَوْجَةً مِنَ الْبَرْدِ ، فَتَنَيْتُ سَاقِي ، وَ الصَّقْتُهُمَا بِجِسْمِي . لَمَسَ شَيْءٌ سَاقِي بِرِقَّةٍ ، فَلَمْ أَتَحَرَّكْ ، ثُمَّ لَمَسَ وَجْهِي شَيْءٌ ، وَ شَعَرْتُ بِنَفْسٍ حَارٍّ يَلْفُحُ وَجْهِي ؛ فَصَرَخْتُ بِصَوْتٍ عَالٍ ، وَ حَاوَلْتُ أَنْ أَتَحَرَّكَ بَعِيدًا عَنْهُ ؛ فَلَمْ أَسْتَطِعْ .

مَنْعَنِي الْفَزَعُ مِنَ الْحَرَكَةِ ، وَ إِذَا بِبُولَدِي يَرْفَعُ السَّرِيرَ بِأَكْمَلِهِ فَوْقَ رَأْسِي وَ يُسْقِطُهُ فَوْقِي . ارْتَطَمَ السَّرِيرُ بِالْأَرْضِ مُحْدِثًا دَوِيًّا عَالِيًا ، وَ لَكِنَّهُ



فِي اتِّجَاهِ الْجَانِبِ الْآخِرِ لِلْحُجْرَةِ . لَقَدْ كَانَ بُولَدِي مُخْتَبِئًا تَحْتَ الْأَغْطِيَةِ ..

صَبَحْتُ : « لَقَدْ أُمْسَكْتُ بِكَ وَ فُزْتُ ! إِذَا حَانَ دَوْرِي الْآنَ لِلْإِخْتِبَاءِ ، وَ لَا بُدَّ أَنْ تُعَدَّ حَتَّى الْعَشْرَةِ ؛ حَتَّى أَتِمَّكَ مِنَ الْإِخْتِبَاءِ . » انْتَبَهْتُ .. ثُمَّ سَمِعْتُ طَرَقًا آتِيًا مِنْ رُكْنِ الْحُجْرَةِ . كَانَ بُولَدِي يَعُدُّ طَرَقَةً ، ثُمَّ أُخْرَى ، ثُمَّ أُخْرَى ، وَ كُنْتُ أَفَكِّرُ .. أَيْنَ يُمَكِّنُنِي الْإِخْتِبَاءُ ؟ هُنَاكَ مَكَانٌ وَاحِدٌ : تَحْتَ السَّرِيرِ . زَحَفْتُ تَحْتَهُ بِهَدْوٍ تَامٍ ، وَ سَكَنْتُ ثَمَامًا . اسْتَمَرَّتِ الطَّرَقَاتُ ، وَكَانَ هُنَاكَ عَشْرُ طَرَقَاتٍ ، ثُمَّ صَمْتُ تَامٍ . حَبَسْتُ أَنْفَاسِي وَ أَرْهَفْتُ السَّمْعَ . صَمْتُ تَامٍ ! نَظَرْتُ عَبْرَ أَرْضِيَّةِ

لَمْ يُصِيبَنِي بِأَذَى . رَفَعَهُ بُوْلَدِي ثَانِيَةً ، حَتَّى كَادَ يُلَامِسُ السَّقْفَ فَوْقِي ،
وَ نَظَرْتُ إِلَى السَّرِيرِ ، وَ الْفَرْعُ يَمْلَأُنِي ، ثُمَّ بَدَأَ السَّرِيرُ يَنْزِلُ يَبْطِئًا . وَ فِي
إِحْدَى لَحَظَاتِ الْفَرْعِ نَهَضْتُ وَاقِفًا ، وَ هَرَوَلْتُ نَحْوَ الْجَانِبِ الْآخَرِ
لِلْحُجْرَةِ ، وَ نَظَرْتُ إِلَى السَّرِيرِ الَّذِي عَادَ إِلَى مَكَانِهِ عَلَى الْأَرْضِ بِهَدْوٍ ،
وَ كَانَ لَا بُدَّ لِي مِنَ الْإِخْتِبَاءِ فِي مَكَانٍ مَا . كَانَتْ خِزَانَةُ الْمَلَابِسِ تَقْبَعُ
أَمَامِي عَلَى الْأَرْضِ ، فَقَلْبَتُهَا ، ثُمَّ قَفَزْتُ بِدَاخِلِهَا ، وَ أَغْلَقْتُ بَابَهَا خَلْفِي ،
وَ قَبِعْتُ بِدَاخِلِهَا سَاكِئًا . بَدَأَ بُوْلَدِي يَنْقُرُ عَلَى بَابِ خِزَانَةِ الْمَلَابِسِ ،
وَ كَانَ النَّقْرُ - بِأَدَى الْأَمْرِ - خَفِيفًا جِدًّا ، ثُمَّ ارْتَفَعَ صَوْتُهُ بِالتَّدرِجِ .
فَجَاءَ انْفَتْحَ الْبَابِ بِشِدَّةٍ ، وَ أُمْسَكَتُ بِي يَدَانِ قَوِيَّتَانِ ، وَ رَفَعَتَانِي إِلَى
أَعْلَى ، وَ أَلْقَا بِي عَلَى الْفِرَاشِ . وَ كُنْتُ أَصْرُخُ وَأَصِيحُ ، إِلَّا أَنَّنِي لَمْ أَشْعُرْ
بِأَيِّ آلامٍ ، وَ تَسَلَّلْتُ تَحْتَ الْغِطَاءِ وَ انْتَظَرْتُ .

وَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ أَسْمَعُ صَوْتَ بُوْلَدِي . سَمِعْتُ ضِحْكَةً طَوِيلَةً شَرِيرَةً ،
وَ كَانَ هُنَاكَ شَيْءٌ فِي صَوْتِهِ ، سَمِعْتُهُ مِنْ قَبْلُ . وَ سَرَّعَانَ مَا امْتَلَأَتْ
الْحُجْرَةُ بِالضَّحِكِ الصَّاحِبِ .

صَبَحْتُ فِيهِ : « كُفَّ عَنْ هَذَا ! كُفَّ عَنْ هَذَا ! أَرَجُوكَ أَنْ تَكُفَّ عَنْ
هَذَا ! » وَ لَكِنَّ الضَّحِكَ اسْتَمَرَّ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ ، ثُمَّ تَوَقَّفَ .

مَرَّتْ بَعْدَ ذَلِكَ فِتْرَةٌ طَوِيلَةٌ جِدًّا مِنَ الصَّمْتِ ، وَ كَانَتْ لُغْبَةً : « أُخْبِئِي

وَ ابْحَثْ عَنِّي » قَدْ وَصَلْتُ إِلَى نِهَائِهَا .

تَسَاءَلْتُ : « مَاذَا هُوَ فَاعِلٌ بَعْدَ ذَلِكَ ؟ » . وَ مَرَّ نَحْوُ نِصْفِ سَاعَةٍ ،
وَ لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ .

سَمِعْتُ بَعْدَ ذَلِكَ صَوْتًا غَرِيبًا . كَانَ صَوْتًا أَشْبَهَ بِأَصَابِعِ تَخْدِشِ
الرُّجَاجِ . أَمْ كَانَ بُوْلَدِي يَخْدِشُ رُجَاجَ النَّوَافِدِ ؟ وَ نَظَرْتُ إِلَى النَّوَافِدِ مَلِيًّا .
وَ كَانَ بِمَقْدُورِي أَنْ أَرَاهَا بِوُضُوحٍ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ ، وَ اكْتَشَفْتُ أَنَّ
الصَّوْتَ لَيْسَ صَادِرًا مِنَ النَّوَافِدِ . وَ دَارَ فِي خَلْدي أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ
رُجَاجٌ آخَرُ فِي الْحُجْرَةِ . وَ لَكِنِّي كُنْتُ مُخْطِئًا . كَانَتْ هُنَاكَ صُورَةٌ
لِجُولِي مُعَلَّقةً عَلَى الْحَائِطِ ! وَ كَانَتْ الصُّورَةُ خَلْفَ لَوْحٍ مِنَ الرُّجَاجِ .
أُرْهَفْتُ السَّمْعَ ، وَ كَانَ صَوْتُ الْخَدَشِ مُسْتَمِرًّا . نَعَمْ كَانَ صَادِرًا مِنَ
الصُّورَةِ ، فَتَنَظَرْتُ إِلَيْهَا مَلِيًّا . وَ كَانَتْ الصُّورَةُ لِوَجْهِ جُولِي بِالْحَجْمِ
الطَّبِيعِيِّ ، تُبْرِزُ نَضَارَتَهَا وَ جَمَالَهَا . وَ كَانَتْ تُبَسِّمُ لِي . وَ فِي ضَوْءِ
الْقَمَرِ - بِطَبِيعَةِ الْحَالِ - بِإِمْكَانِي أَنْ أَرَاهَا بِالتَّفْصِيلِ ، غَيْرَ أَنَّنِي كُنْتُ
أَعْرِفُ تِلْكَ الصُّورَةَ تَمَامَ الْمَعْرِفَةِ ، فَكَانَ مِنَ السَّهْلِ أَنْ أَتَخَيَّلَ وَجْهَ جُولِي
الْجَمِيلِ .

تَوَقَّفَ الْخَدَشُ ، وَ تَحَرَّكَتِ الصُّورَةُ بَعِيدًا عَنِ الْحَائِطِ ، وَ طَارَتْ
بِخَفِيفَةٍ نَحْوِي ، فَتَنَظَرْتُ فِي عَيْنِي جُولِي ، وَ نَظَرْتُ هِيَ فِي عَيْنِي .

« أَهَذِهِ أَنْتِ يَا جُولِي ؟ هَلْ أَنْتِ الشَّبَحُ ؟ هَلْ أَنْتِ الَّتِي تُطَارِدُنِي ؟ »
جاءت الإجابة عَنْ أَسْئَلَتِي فِي شَكْلِ ضِحْكَةٍ شَرِيرَةٍ . كَانَتْ لِجُولِي -
دَائِمًا - ضِحْكَةٌ نَاعِمَةٌ ، وَلَكِنِّي تَعَرَّفْتُ عَلَى ضِحْكَتِهَا ، وَسَطَ هَذِهِ
الضِحْكَةِ الشَّرِيرَةِ .

تَعَلَّقَتِ الصُّورَةُ فِي الْهَوَاءِ ، وَكَانَتْ تَبْعُدُ عَنِ الْأَرْضِ خُمُسَ أَقْدَامٍ ،
وَإِذَا بَشِيَءٌ عَجِيبٌ يَحْدُثُ . تَحْرُكُ فُسْتَانُ جُولِي مُبْتَعِدًا عَنِ الْأَرْضِ ،
مُتَّجِهَا نَحْوَ الصُّورَةِ ، وَاتَّخَذَ مَكَانَهُ - فِي الْحَالِ - تَحْتَ الصُّورَةِ
ثَمَامًا ، ثُمَّ بَدَأَ يَرْقُصُ ، وَكَانَ يَرْقُصُ بِخَفِيَّةٍ وَرَشَاقَةٍ - كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ
جُولِي دَائِمًا .

كَانَتِ الصُّورَةُ تُمَثِّلُ رَأْسَ جُولِي ، وَكَانَ الْفُسْتَانُ يُمَثِّلُ قَوَامَهَا ،
وَكَانَتْ جُولِي هِيَ الْوَحِيدَةُ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تَرْقُصَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ .
وَهَكَذَا عَرَفْتُ - لِأَوَّلِ مَرَّةٍ - أَنَّ جُولِي وَبُولَدِي شَخْصٌ وَاحِدٌ !
كَانَتِ الرَّقْصَةُ دَلِيلًا وَاضِحًا ، فَلَمْ أُرِدْ - فِيمَا مَضَى - أَنْ أَصَدِّقَ أَنَّ
بُولَدِي هُوَ جُولِي ، وَلَكِنِّي آلَانَ مُضْطَّرٌّ إِلَى الرِّبْطِ بَيْنَهُمَا .



الفصل السابع الحقيقة

لَقَدْ أَخْبَرْتُكَ بِالْحَقِيقَةِ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ ، لَكِنَّهَا لَمْ تَكُنِ الْحَقِيقَةُ بِأَكْمَلِهَا . لِمَاذَا ؟ لِأَنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَقْبَعَ بِهَا نَفْسِي ، فَكَيْفَ لِي أَنْ أَقْبَعَكَ بِهَا ؟ لَقَدْ حَاوَلْتُ أَنْ أَتَهَرَّبَ مِنَ الْحَقِيقَةِ لِمُدَّةِ اثْنَيْ عَشَرَ عَامًا ، وَحَانَ الْوَقْتُ لِلاعْتِرَافِ بِهَا . وَ لَعَلَّكَ تَعْرِفُ الْآنَ . نَعَمْ ، قَتَلْتُ جُولِي ! وَ أَرْجُوكَ أَلَّا تُسَيِّءَ فَهْمِي ، فَقَدْ قَتَلْتُهَا بِدَافِعِ الْحُبِّ ، لَا الْكَرَاهِيَةِ ، وَ اضْطُرَرْتُ لِقَتْلِهَا لِصَالِحِهَا وَ خَيْرِهَا !

لَقَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّ جُولِي كَانَتْ تُحِبُّنِي وَ كُنْتُ أُحِبُّهَا ، وَ هَذَا صَحِيحٌ وَ أَخْبَرْتُكَ أَنِّي وَ جُولِي كُنَّا سَعِيدَيْنِ ، وَ هَذَا صَحِيحٌ أَيْضًا . وَ أَخْبَرْتُكَ أَنَّ أَصْدِقَائِي كَانُوا يَغَارُونَ مِنِّي ، وَ هَذَا صَحِيحٌ كَذَلِكَ . لَكِنِّي لَمْ أَخْبِرْكَ بِأَمْرِ وَاحِدٍ : كُنْتُ أَغَارُ مِنْ أَصْدِقَائِي .

إِنَّكَ تَعْرِفُ الْكَثِيرَ عَنِّي ، تَعْرِفُ أَنِّي شَخْصٌ عَادِيٌّ ، لَا أَثِيرُ انْتِبَاهَ أَحَدٍ ، وَ لَا أَخْرُجُ كَثِيرًا ، وَ لَا أَرْقُصُ ، وَ لَيْسَ لَدَيَّ كَثِيرٌ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ ، وَ تَتَرَكِّزُ حَيَاتِي كُلُّهَا فِي كُتُبِي . غَيَّرْتُ جُولِي حَيَاتِي عَلَى مَدَى اثْنَيْ عَشَرَ عَامًا عِشْنَاهَا مَعًا ، وَ مَلَأْتُ حَيَاتِي بِالْأَصْدِقَاءِ وَ الضَّحِكَاتِ . إِذَا لَمْ قَتَلْتُهَا ؟ !

اعْتَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ كَثِيرًا مَعًا ، وَ اعْتَادَ الْأَصْدِقَاءُ زِيَارَتَنَا كَثِيرًا . وَ كَانَتْ جُولِي تَمِيلُ إِلَى صُحْبَتِي ، لَكِنَّهَا كَانَتْ تَمِيلُ أَيْضًا إِلَى صُحْبَةِ الْآخَرِينَ . كُنْتُ أُرِيدُ جُولِي لِنَفْسِي ، لِي وَ خُدَي . كُنْتُ دَائِمًا وَحِيدًا أَثَاءَ الْحَفَلَاتِ ، وَ كَانَ الشَّبَابُ دَائِمًا يَلْتَفُّونَ حَوْلَ جُولِي ، وَ يَرْقُصُونَ دَائِمًا مَعَهَا وَ كَانَتْ تَسْتَمْتِعُ بِصُحْبَتِهِمْ .

كَانَتْ جُولِي - بِطَبِيعَةِ الْحَالِ - مُخْلِصَةً لِي ، وَ كُنْتُ مُخْلِصًا لَهَا ، إِلَّا أَنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ لِيَكْفِينِي .. كُنْتُ لَا أُرِيدُهَا أَنْ تَتَحَدَّثَ مَعَ الرِّجَالِ الْآخَرِينَ ، أَوْ تُرَاقِصَهُمْ . كُنْتُ أُرِيدُهَا مَعِي طَوَالَ الْوَقْتِ ، وَ كُنْتُ أَمْتَلِي غَيْرَةً حِينَ أَرَى الرِّجَالَ يَلْتَفُّونَ حَوْلَهَا . وَ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَحَكَّمَ أَوْ أَسَيِّطَرَ عَلَى غَيْرَتِي . وَ ذَاتَ يَوْمٍ نَاقَشْتُهَا فِي الْأَمْرِ ، وَ لَا أَذْكُرُ الْآنَ - تَمَامًا - الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَبَادَلْنَاهَا ، لَكِنَّهَا كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى الشَّكْلِ الْآتِي :

قَالَتْ جُولِي : « إِرْتِدْ حُلَّتَكَ يَا وَلِيمَ ، سَنَخْرُجُ اللَّيْلَةَ . »

أَجَبْتُ : « لَا أُرْعَبُ فِي الْخُرُوجِ . »

قَالَتْ : « لَا تَكُنْ سَخِيفًا يَا وَلِيمَ ، سَنَخْرُجُ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ . »

قُلْتُ : « وَ لَكِنِّي أُرِيدُ الْبَقَاءَ هُنَا . »

قَالَتْ : « أَنْتَ تُرِيدُ دَائِمًا الْبَقَاءَ بِالْبَيْتِ ، إِنِّي أَعْرِفُ أَنَّكَ تُرِيدُ الْعَمَلَ

فِي مُؤَلَّفَاتِكَ ، وَ لَكِنْ لَا بُدَّ أَنْ نَسْتَمْتِعَ بِالْحَيَاةِ أَيْضًا . »

قُلْتُ : « وَ لِكِنِّي لَا أَحِبُّ الْإِخْتِلَاطَ مَعَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ ، أُرِيدُ فَقَطْ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ . »

قَالَتْ جولي - بِرَقَّةً - : « أَنْتِ تَغَارُ يَا وَلِيْمَ ! »

كَانَ لَا بُدَّ لِي مِنَ الْإِعْتِرَافِ بِذَلِكَ ، فَقُلْتُ : « أَعْلَمُ أَنَّي كَذَلِكَ . »

قَالَتْ : « لَسْتُ فِي حَاجَةٍ لِأَنْ تَغَارَ ، فَأَنْتِ تَعْلَمُ أَنَّي أَحِبُّكَ . »

« نَعَمْ ، أَعْلَمُ ذَلِكَ تَمَامًا . »

قَالَتْ جولي : « شَخْصِيَّتُكَ تَخْتَلِفُ تَمَامًا عَنْ شَخْصِيَّتِي . أَنَا فِي حَاجَةٍ لِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ حَوْلِي ، وَ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَبْقِيَ وَحْدِي مَعَكَ فِي هَذَا الْبَيْتِ طَوَالَ الْوَقْتِ . »

قُلْتُ : « أَخْشَى أَنْ أَفْقِدَكَ . »

قَالَتْ جولي : « لَا تَخَفْ ، فَلَنْ يَحْدُثَ ذَلِكَ أَبَدًا . لَنْ تَفْقِدَنِي ، فَأَنَا أَحِبُّكَ ، أَنَا زَوْجَتُكَ . »

قُلْتُ : « أَتَمَنَّى أَنْ تَكُونِي زَوْجَتِي لِلْأَبَدِ . »

أَجَابَتْ جولي : « سَيَكُونُ ذَلِكَ . »

كَأَنَّهُ تَقُولُ الصِّدْقَ ، غَيْرَ أَنَّي كُنْتُ لَا أَزَالُ غَيُورًا ، وَ مَعَ مُرُورِ الْوَقْتِ أَزْدَادَتْ غَيْرَتِي ، وَ لَمْ أَتِمَكَّنْ مِنَ السَّيْطَرَةِ عَلَيْهَا .

ثُمَّ حَدَّثْتُ شَيْءًا .. لَقَدْ أَخْبَرْتُكَ عَنْهُ قَبْلًا ، مَرَضَتْ جولي ، وَ اسْتَدَّ مَرَضُهَا . وَ قَدْ حَكَيْتُ لَكَ مِنْ قَبْلُ كَيْفَ أَنَّنِي اسْتَدْعَيْتُ أَفْضَلَ الْأَطِبَّاءِ ، وَ هَذَا صَحِيحٌ .

قَالَ لِي أَحَدُهُمْ : « زَوْجَتُكَ مَرِيضَةٌ جِدًّا ، وَ قَلْبُهَا ضَعِيفٌ ، وَ يَلَزِمُ الْجِرْصُ ، فَقَدْ تَمُوتُ فِي أَيِّ وَقْتٍ . »

كُنْتُ أُرِيدُهَا لِي وَحْدِي لِلْأَبَدِ ، وَ إِذَا بِفِكْرَةٍ شَرِيرَةٍ تَطَرَّأَ عَلَى ذِقْنِي : « يُمَكِّنُنِي أَنْ أَقْتَلَ جولي ؛ وَ بِذَلِكَ أُحْتَفِظُ بِهَا لِنَفْسِي دَائِمًا ، وَ لَنْ أَغَادِرَ الْبَيْتَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَ سَتَكُونُ دَائِمًا مَعِي . »

فَكَّرْتُ فِي ذَلِكَ كَثِيرًا ، وَ انْتَهَيْتُ إِلَى أَنَّنِي لَا بُدَّ أَنْ أَقْتُلَهَا ، وَ لِهُذَا السَّبَبِ لَمْ أَبْحَثْ عَنْ زَوْجَةٍ أُخْرَى بَعْدَ جولي ، فَهِيَ مَعِي طَوَالَ الْوَقْتِ : لَدَيَّ صُورُهَا ، وَ لَدَيَّ ذِكْرُهَا . لَمْ أَعُدْ غَيُورًا ، فَلَيْسَ مِنْ سَبَبِ آلَانِ يَدْعُو إِلَى ذَلِكَ .



وَ فِي إِحْدَى اللَّيَالِي ، اسْتَلَقْتُ جُولِي فِي الْفِرَاشِ بِجَوَارِي وَ هِيَ
مَرِيضَةٌ جِدًّا . كَانَتْ تَنْتَفَسُ بِهَدْوٍ ، وَ لَكِنْ لَمْ تُكُنْ نَائِمَةً .. بَدَأْتُ
أَكَلِمُهَا .

هَمَسْتُ : « جُولِي ، أُرِيدُكَ لِي وَحْدِي لِلْأَبَدِ ، أَنْتِ تُحِبِّينَنِي وَ أَنَا
أُحِبُّكَ ، وَ هَذَا هُوَ سِرُّ سَعَادَتِنَا . »
هَمَسْتُ : « نَعَمْ ، هَذَا سِرُّنَا . »
قُلْتُ : « سَتَبْقَيْنَ دَائِمًا مَعِي فِي هَذَا الْبَيْتِ . »

هَمَسْتُ : « أَجَلٌ . »

قُمْتُ بَعْدَ ذَلِكَ بِوَضْعٍ وَ سَادَتِي بِخُفَةٍ فَوْقَ وَجْهِهَا ، وَ أَبْقَيْتُهَا كَذَلِكَ
لِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ . وَ حَاوَلْتُ أَنْ تَبْتَعِدَ ، وَ لَكِنُّهَا لَمْ تَتِمَكَّنْ .. فَقَدْ كَانَتْ
ضَعِيفَةً جِدًّا . وَ كُنْتُ أَسْمَعُ صَرَخَاتِهَا الْمَكْتُومَةَ ، وَ مَعَ ذَلِكَ لَمْ أَرْفَعْ عَنْهَا
الْوِسَادَةَ ، وَ أَخِيرًا تَوَقَّفَ قَلْبُهَا ، وَ فَارَقَتِ الْحَيَاةَ .

بَعْدَ مَوْتِهَا قُلْتُ : « هَذَا هُوَ سِرُّنَا ، أَنْتِ آلَانَ لِي وَحْدِي لِلْأَبَدِ . »
اتَّصَلْتُ بِالطَّبِيبِ - هَاتِفِيًّا - فِي الْحَالِ ، وَ أَخْبَرْتُهُ أَنَّ جُولِي لَا تَنْتَفَسُ
بِطَرِيقَةٍ طَبِيعِيَّةٍ . وَ جَاءَ الطَّبِيبُ بِسُرْعَةٍ ، وَ لَكِنْ بِالطَّبْعِ كَانَتْ جُولِي قَدْ
فَارَقَتِ الْحَيَاةَ .

قَالَ الطَّبِيبُ : « إِنَّنِي لَا سِيفَ أَنْ أَخْبِرَكَ أَنَّ زَوْجَتَكَ مَاتَتْ . لَقَدْ تَوَقَّفَ

قَلْبُهَا . مَاتَتْ مِنْذُ فَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ ، وَ لَعَلَّهَا مَاتَتْ أَثْنَاءَ نَوْمِهَا . »

بَكَيْتُ كَثِيرًا ، وَ لَكِنَّنِي - فِي صَمِيمِ قَلْبِي - كُنْتُ سَعِيدًا ، كُنْتُ
سَعِيدًا لِأَنَّ جُولِي أَصْبَحَتْ لِي وَحْدِي لِلْأَبَدِ .

وَ الْيَوْمَ هُوَ يَوْمُ الثَّلَاثَةِ ، الثَّانِي وَ الْعِشْرُونَ مِنْ شَهْرِ يَنَائِرِ . فِي مِثْلِ
هَذَا الْيَوْمِ ، مِنْذُ اثْنَيْ عَشَرَ عَامًا ، قَتَلْتُ حَبِيبَتِي جُولِي .

الفصل الثامن

أحداث ليلة الاثنين

تَوَقَّفتُ عَنْ سَرِّدِ حِكَايَتِي لِأَنَّي كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِالْحَقِيقَةِ قَدْ
نَعْتَقِدُ أَنَّنِي مَجْنُونٌ ، أَعْرِفُ ذَلِكَ ، وَ لَعَلَّنِي مَجْنُونٌ بِالْفِعْلِ . فَقَدْ تَعَايَشْتُ
مَعَ هَذَا السَّرِّ اثْنَيْ عَشَرَ عَامًا : أَنَا سَفَاحٌ . لَقَدْ قَتَلْتُ زَوْجَتِي ، وَ مِنْذُ
ذَلِكَ الْوَقْتِ وَ مَنْزِلِي أَصْبَحَ مَسْكُونًا بِالْأَشْبَاحِ . وَ لَمْ أَدْرِكِ الْحَقِيقَةَ إِلَّا
الْلَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ وَ بَعْدَ مُرُورِ اثْنَيْ عَشَرَ عَامًا .

لَمْ يَكُنْ شَبَحٌ حُجْرَةٍ نَوْمِي شَبَحًا لَعُوبًا ، يَهْوِي الصُّحْبَ . وَ هُوَ
لَا يُدْعَى بُولَدِي . إِنَّهُ شَبَحٌ زَوْجَتِي الْعَزِيزَةِ جُولِي . وَ كَانَ شَبَحًا لَعُوبًا أَوَّلَ
الْأَمْرِ ، غَيْرَ أَنَّهُ آلَانَ أَصْبَحَ شَبَحًا غَيُورًا وَ شَرِيرًا - كَمَا كُنْتُ أَنَا مِنْذُ
اثْنَيْ عَشَرَ عَامًا .

فَجَاءَتْ رَأَيْتُ جُولِي لَيْلَةَ امْسِرِ « حَيَّة » مَرَّةً أُخْرَى ، كَانَ « رَأْسُهَا »
الصُّورَةَ ، « وَ جَسَدُهَا » الْفُسْتَانُ ، وَ كَانَتْ تَدُورُ فِي الْحُجْرَةِ رَاقِصَةً .
نَعَمْ ، كَمْ كَانَ رَقْصُهَا جَمِيلًا ! وَ كَانَ فُسْتَانُهَا الْجَمِيلُ يَلْمَعُ فِي ضَوْءِ
الْقَمَرِ . كُنْتُ أَجْلِسُ فِي الْفِرَاشِ وَ أَشَاهِدُهَا ، وَ نَسِيتُ لُعْبَتَنَا ، وَ لَمْ أَكُنْ
أَفَكِّرُ إِلَّا فِي جُولِي « حَيَّة » مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ كُلِّ هَذِهِ السَّنَوَاتِ !



كُنْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي : « لَيْسَ هَذَا مَعْقُولًا ، وَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ أُصَدِّقَهُ . »

اسْتَمَرَّتْ جُولِي تَرْقُصُ وَ تَرْقُصُ ، وَ كُنْتُ أَسْتَمِعُ إِلَى الْمَوْسِيقَى تُصَدِّحُ فِي رَأْسِي ، وَ إِذَا بِي — فَجْأَةً — فِي حَفْلَةٍ . امْتَلَأَتِ الْحُجْرَةُ بِالضَّوْضَاءِ وَ الصَّخَبِ وَ الضَّحِكَاتِ ، كَانَ الشَّبَابُ يَنْتَشِرُونَ فِي جَمِيعِ أَرْكَانِ الْحُجْرَةِ . وَ كَانَتْ حَبِيبَتِي جُولِي تَرْقُصُ عَلَى أَنْغَامِ الْمَوْسِيقَى ، وَ كَانَ الشَّبَابُ يُتَابِعُونَهَا بِنَظَرَاتِهِمْ ، ثُمَّ يَرْمُقُونَنِي بِنَظَرَاتِهِمْ وَ يَضْحَكُونَ . وَ بَيْنَمَا كَانُوا يَضْحَكُونَ وَ يَسْخَرُونَ مِنِّي امْتَلَأَتْ غَضَبًا وَ غَيْرَةً ، وَ امْتَلَأَ فِكْرِي بِالشَّرِّ .

صَحْتُ فِي الشَّبَابِ : « اُعْرَبُوا عَنِّي وَ جِهِي ! جُولِي لِي وَ حُدِي ، لِي أَنَا وَ حُدِي ! أَلَا تَفْهَمُونَ ؟ » بَدَأَتْ ضَحِكَاتِ الشَّبَابِ تَعْلُو ، وَ تَعْلُو ، وَ اِزْدَادَ غَضَبِي شَيْئًا فَشَيْئًا . وَ قَفَزْتُ مِنَ الْفِرَاشِ ، وَ جَرَيْتُ نَحْوَ الشَّيْخِ الرَّاقِصِ ، وَ الْمَوْسِيقَى لِانْزَالِ تُصَدِّحُ فِي رَأْسِي ، وَ كَانَ الشَّبَابُ لَا يَزَالُونَ يَرْمُقُونَنِي بِنَظَرَاتِهِمْ وَ يَسْخَرُونَ مِنِّي . رَفَعْتُ مَقْعَدًا إِلَى أَعْلَى وَ انْهَلْتُ بِهِ عَلَى الشَّبَابِ ضَرْبًا ، ثُمَّ عَلَى الشَّيْخِ الرَّاقِصِ . ضَرَبْتُ الْفُسْتَانَ الْجَمِيلَ ، فِي حِينَ كَانَ يَدُورُ فِي الْحُجْرَةِ . وَ فَجْأَةً تَوَقَّفَ صَوْتُ الْمَوْسِيقَى فِي رَأْسِي ، وَ تَوَقَّفَ الرُّقْصُ ، وَ اخْتَفَى الشَّبَابُ مِنَ الْحُجْرَةِ ، وَ تَحَوَّلَتْ وَجُوهُهُمْ إِلَى ظِلَالٍ — ثُمَّ تَلَاشَتْ تَمَامًا ، وَ تَوَقَّفَتْ ضَحِكَاتُهُمْ .

انْهَلْتُ — مَرَّةً أُخْرَى — بِالضَّرْبِ عَلَى الْفُسْتَانِ ، وَ لَمْ أَصُوبْ ضَرْبَاتِي إِلَى الصُّورَةِ ، بَلْ إِلَى الْفُسْتَانِ فَقَطْ . وَ ارْتَجَفَ الْفُسْتَانُ ، ثُمَّ تَهَاوَى بِطُءٍ عَلَى الْأَرْضِ . وَ كَانَتِ الصُّورَةُ لَا تَزَالُ فِي مَكَانِهَا عَلَى قِمَّةِ الْفُسْتَانِ . وَ سَقَطَتِ الصُّورَةُ وَ الْفُسْتَانُ عَلَى الْأَرْضِ . وَ كَانَتْ عَيْنَا جُولِي الْبَاسِمَتَانِ تَنْتَظِعَانِ إِلَيَّ ، وَ هَمَسْتُ : « لَقَدْ رَحَلُوا جَمِيعًا . أَنْتِ الْآنَ لِي وَ حُدِي .. كَيْانَكَ كُلَّهُ لِي وَ حُدِي . »

وَقَفْتُ بِجَوَارِ الْفُسْتَانِ وَ تَطَلَّعْتُ إِلَيْهِ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ ، وَ لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ : لَمْ يَتَحَرَّكْ . قُمْتُ بِلَمْسِهِ ، وَ كَانَ فُسْتَانًا حَقِيقِيًّا . وَ لَمَسْتُ الصُّورَةَ ، وَ كَانَتْ حَقِيقَةً أَيْضًا .

كَانَتْ عَيْنَا جُولِي تَبْتَسِمَانِ لِي مِنْ خَلْفِ الزُّجَاجِ ، فَخَاطَبْتُ الصُّورَةَ قَائِلًا : « أُرِيدُكَ لِي وَ حُدِي لِلْأَبَدِ . » ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الْفِرَاشِ ، وَ أُحْضَرْتُ وَ سَادَةٌ ، وَ رَجَعْتُ إِلَى الْفُسْتَانِ الَّذِي كَانَ عَلَى الْأَرْضِ . وَ ضَعْتُ الْوَسَادَةَ عَلَى الصُّورَةِ ، وَ أَبْقَيْتُهَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ . وَ حَاوَلْتُ الْفُسْتَانَ أَنْ يُفْلِتَ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَتِمَكَّنْ ، وَ صَدَرَتْ عَنِ الصُّورَةِ صَيِّحَاتٌ مَكْتُومَةٌ . وَ فِي النِّهَايَةِ سَكَنَ الْفُسْتَانُ . وَ ابْتَسَمْتُ لِنَفْسِي .. لَقَدْ قَتَلْتُ جُولِي لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ . وَ انْفَجَرْتُ ضَاحِكًا بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ .

فَجْأَةً صَدَرَتْ عَنِ الصُّورَةِ صَرْخَةٌ مُدَوِيَّةٌ .. ثَلَاثُهَا صَرَخَاتٌ ،

فَتَرَجَعْتُ - قَافِزًا - فِي هَلَعٍ . وَتَوَقَّعْتُ الصَّرَخَاتِ ، وَبَدَأَتْ صُورَةُ
جُولِي تَتَغَيَّرُ .. لَمْ تَكُنْ تُبْتَسِمُ ، بَلْ كَانَتْ تُبْكِي . وَلَمَسْتُ زُجَاجَ
الصُّورَةِ ، وَكَانَ مُبَلَّلًا ، ثُمَّ انْقَلَبَتِ الصُّورَةُ مِنْ يَدَيَّ . نَهَضْتُ وَاقِفًا ،
وَبَدَأَتْ الصُّورَةُ تَرْتَفِعُ بِطُءٍ بَعِيدًا عَنِ الْأَرْضِ ، وَتَحَرَّكَتْ نَحْوِي ، ثُمَّ
تَوَقَّعْتُ أَمَامَ وَجْهِ ، ثُمَّ سَقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِ وَتَكَسَّرَ زُجَاجُهَا إِلَى الْفِ
قِطْعَةِ . وَكَانَتْ هُنَاكَ يَدٌ تُمَزِّقُ الصُّورَةَ إِلَى قِطْعٍ صَغِيرَةٍ - مَزَّقَتْ الشَّعْرَ
وَ الْعَيْنَيْنِ وَ الْأَنْفَ وَ الْفَمَ . وَ سَرَّعَانَ مَا كَانَتْ قِطْعُ الْوَرَقِ الصَّغِيرَةِ تُعْطِي
الْأَرْضَ حَوْلَ الْفُسْتَانِ ، ثُمَّ هَبَّتْ رِيَا حُ عَائِيَّةٌ فِي الْحُجْرَةِ ، دَفَعَتْ بِالْفُسْتَانِ
عَبْرَ أَرْضِيَّةِ الْحُجْرَةِ ، وَ دَفَعَتْ بِقِطْعِ الْوَرَقِ الصَّغِيرَةِ إِلَى جَمِيعِ أَرْجَاءِ
الْحُجْرَةِ ؛ فَطَارَتْ ، ثُمَّ نَزَلَتْ بِطُءٍ إِلَى الْأَرْضِ كَقِطْعِ الثَّلْجِ ، ثُمَّ تَوَقَّعْتُ
الرَّيَا حُ .

كَانَ الشَّيْخُ لَا يَزَالُ فِي الْحُجْرَةِ ، وَكُنْتُ أَشْعُرُ بِذَلِكَ . وَقُلْتُ فِي
نَفْسِي : إِنَّ اللَّعْبَةَ قَدْ انْتَهَتْ ، إِذَا يَجِبُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى السَّرِيرِ وَ أَضَعُ الْقَافِيسَ
فِي الْمَقْبَسِ . لَقَدْ نِلْتُ كِفَايَتِي مِنْ هَذِهِ اللَّعْبَةِ . وَ التَّقَطُّبُ الْوَسَادَةُ مِنْ
فَوْقِ الْأَرْضِ ، ثُمَّ تَوَجَّهْتُ إِلَى السَّرِيرِ .

كُنْتُ مُتَعَبًا لِلْعَايَةِ وَ أَمِيلٌ لِلنَّوْمِ ؛ فَمِلْتُ بِجِسْمِي عَلَى جَانِبِ السَّرِيرِ ،
وَ بَحَثْتُ عَنِ الْقَافِيسِ . سَأَصْرِفُ الشَّيْخَ ، ثُمَّ أَسْتَسْلِمُ لِلنَّوْمِ . وَ لَمَسْتُ

الْقَافِيسَ ، وَ لَكِنْ فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي لَمَسْتُهُ فِيهَا سَمِعْتُ ضِجْكَةَ شَرِيرَةٍ ،
فَأَذْرَكْتُ أَنَّ اللَّعْبَةَ لَمْ تَنْتَهِ بَعْدُ !

انْتَرَلَقَ الْقَافِيسُ مِنْ يَدَيَّ ، وَ حَاوَلْتُ أَنْ أَجِدَهُ ثَانِيَةً ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فِي
كُلِّ مَرَّةٍ أَصِيلٌ إِلَيْهِ يَتَحَرَّكُ مُبْتَعِدًا ، فَقَبِضْتُ عَلَى السِّلْكِ وَ « تَتَبَعْتُهُ »
بِأَصَابِعِي حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى الْقَافِيسِ ، غَيْرَ أَنَّنِي لَمْ أَسْتَطِعْ رَفْعَهُ . كَانَ
يَتَحَرَّكُ عَبْرَ الْأَرْضِيَّةِ ، فَتَرَكْتُ الْفِرَاشَ ، وَ جَلَسْتُ عَلَى الْأَرْضِ مُسْتَنِدًا
عَلَى رُكْبَتَيَّ صَوَّبَ الْقَافِيسَ ، إِلَّا أَنَّهُ تَحَرَّكَ مُبْتَعِدًا عِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَيْهِ .
وَ اسْتَمَرَّتِ الضِّجْكَةُ الشَّرِيرَةُ ، فَقُلْتُ مُتَوَسِّلًا : « أَرْجُوكِ يَا جُولِي ،
أَرْجُوكِ أَنْ تُعْطِيَنِي الْقَافِيسَ . » وَ تَقَدَّمَ الْقَافِيسُ نَحْوِي ، وَ تَرَاقَصَ أَمَامَ
عَيْنَيَّ ، وَ لَكِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ لَمَسَهُ ، فَقُلْتُ : « لَنْ أَلْعَبَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ،
وَ سَأَغَادِرُ الْحُجْرَةَ . »

حَاوَلْتُ أَنْ أَفْتَحَ أَلْبَابَ ، وَ لَكِنِّي أَخْفَقْتُ ، وَ أَخَذْتُ أَدُقُّ عَلَى أَلْبَابِ
بِكُلِّمَا يَدَيَّ ، وَ كُنْتُ أَدْفَعُهُ ثُمَّ أَجْذِبُهُ . لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَفْتَحَهُ ! كُنْتُ سَجِينًا
فِي حُجْرَتِي ، فَأَخَذْتُ أَصِيحُ : « إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ ؟ مَاذَا أَفْعَلُ ؟ أَنَا آلَانَ
سَجِينُكَ ، أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ أَنْ تَدْعِيَنِي أَذْهَبُ .. أَرْجُوكِ ! أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ ! »

تَوَقَّعْتُ الضَّجْكَةَ الشَّرِيرَةَ ، وَ سَادَ الصَّمْتُ الْحُجْرَةَ ، ثُمَّ بَدَأَ شَيْءٌ مَا
يَدُقُّ بِخَفَّةٍ عَلَى النَّافِذَةِ . سَمِعْتُ بَعْدَ ذَلِكَ صَوْتًا يَخْدِشُ الزُّجَاجَ ، كَانَ

أُظَاهِرُ تَحْدِثُهُ ، وَلَمْ يَكُنْ رُجَاجَ صُورَةِ جُولِي . أَرْهَفْتُ السَّمْعَ ثَانِيَةً ،
وَكَانَ الصَّوْتُ صَادِرًا عَنِ النَّافِذَةِ ؛ فَتَوَجَّهْتُ إِلَيْهَا ، وَنَظَرْتُ خَارِجَهَا ..
كَانَ هُنَاكَ وَجْهٌ عِنْدَ النَّافِذَةِ .. لَيْسَ لِجُولِي ، وَ لَا لِأَيِّ شَخْصٍ ، بَلْ كَانَ
وَجْهَ قِطْعَةٍ !

كَانَتِ الْقِطْعَةُ قَدْ قَفَزَتْ إِلَى النَّافِذَةِ ، وَ وَقَفَتْ خَارِجَهَا ، وَكَانَتْ تَنْفُزُ
إِلَى دَاخِلِ حُجْرَتِي . لَمْ تَكُنِ الْقِطْعَةُ السَّودَاءُ نَفْسَهَا الَّتِي رَأَيْتُهَا فِي
الصَّبَاحِ ، وَ إِنَّمَا كَانَتْ قِطْعَةً بَيَضَاءً . لَقَدْ رَأَيْتُ هَذِهِ الْقِطْعَةَ مِنْ قَبْلِ فِي
مَكَانٍ مَا ، لَكِنْ أَيْنَ ؟ حَاوَلْتُ أَنْ أُرَكِّزَ تَفْكِيرِي ، وَ تَذَكَّرْتُ فَجَاءَ ..
كَانَتْ قِطْعَةُ جُولِي بِالطَّبْعِ :

لَقَدْ كَانَتْ جُولِي تُحِبُّ الْحَيَوَانَاتِ ، وَكَانَتْ لَهَا قِطْعَةٌ كَهَذِهِ فِي
حَيَاتِهَا . قِطْعَةٌ بَيَضَاءُ جَمِيلَةٌ .

وَ عِنْدَمَا مَاتَتْ جُولِي - أَغْنَى بَعْدَ أَنْ قَتَلْتُهَا - اخْتَفَتِ الْقِطْعَةُ .. لَمْ
أَرَهَا بَعْدَ ذَلِكَ قَطُّ ، وَلَكِنَّهَا رَجَعَتْ آلَانِ . نَظَرْتُ مِنْ خِلَالِ النَّافِذَةِ ،
وَكَانَ وَجْهَ الْقِطْعَةِ مُلَاصِقًا لَوَجْهِي ، وَ لَا شَيْءَ يَفْصِلُ بَيْنَنَا غَيْرَ الرُّجَاجِ .
وَكَانَتْ عَيْنَا الْقِطْعَةِ حَمْرَاوَيْنِ وَ غَاضِيَتَيْنِ ، وَ أَخَذَتِ الْقِطْعَةُ تَحْدِثُ الرُّجَاجَ
بِجُنُونٍ ، فَطَرَقَتْ عَلَى الرُّجَاجِ مِنَ الدَّاخِلِ ؛ وَ لَكِنَّهَا لَمْ تَبْتَعِدْ ، بَلْ بَدَأَتْ
فِي الْبُكَاءِ مِثْلَ طِفْلَةٍ صَغِيرَةٍ ، وَ صَرَخَتْ : « كُفِّي عَنْ ذَلِكَ ! كُفِّي ! »

جَرَيْتُ نَحْوَ بَابِ حُجْرَةِ النَّوْمِ ، وَ حَاوَلْتُ أَنْ أَفْتَحَهُ . وَ مَرَّةً أُخْرَى
لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُمْكِنِ فَتْحُهُ ، وَكَانَتِ الْقِطْعَةُ مُسْتَمِرَّةً فِي بُكَائِهَا خَارِجَ
النَّافِذَةِ .

وَ فَجَاءَةً تَمَلَّكَتْنِي رَغْبَةٌ جَامِحَةٌ فِي قَتْلِهَا . وَ نَظَرْتُ فِي الْحُجْرَةِ ،
مُحَاوِلًا أَنْ أَجِدَ شَيْئًا . وَ تَمَلَّكَنِي الْغَضَبُ إِلَى دَرَجَةِ الْجُنُونِ . وَكَانَتْ
خِزَانَةُ الْمَلَابِسِ لَا تَزَالُ مُلْقَاةً عَلَى الْأَرْضِ ، وَ قَدْ انفصلَتْ عَنْهَا بَعْضُ
قِطْعِهَا ، فَالْتَقَطْتُ قِطْعَةً سَمِيكَةً مِنَ الْحَشَبِ وَ جَرَيْتُ نَحْوَ النَّافِذَةِ .

تَطَلَّعَتِ الْقِطْعَةُ إِلَيَّ بِعَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ ، وَ بَدَأَتْ تُبْكِي بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ ؛
فَطَرَقْتُ النَّافِذَةَ بِقِطْعَةِ الْحَشَبِ بِشِدَّةٍ ، فَتَهَشَّمَ الرُّجَاجُ إِلَى قِطْعٍ صَغِيرَةٍ
جَدًّا .

صَحِكْتُ وَ شَعَرْتُ بِالسَّعَادَةِ ، ثُمَّ نَظَرْتُ مِنْ خِلَالِ النَّافِذَةِ
الْمَكْسُورَةِ ، وَ لَكِنْ لَمْ أَرِ شَيْئًا . فَلَا قِطْعَةً وَ لَا صَوْتَ وَ لَا أَيَّ شَيْءٍ !
مُدْهَشٌ ، لَقَدْ انْصَرَفَتْ !

رُبَّمَا لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ قَطُّ ، رُبَّمَا كَانَتْ مُجَرَّدَ تَخَيُّلاتٍ .. لَا بَدَلِي مِنْ
ضَبْطِ النَّفْسِ . إِنَّنِي أَتَخَيَّلُ الْأَشْيَاءَ !

وَلَكِنَّنِي فِي الْوَاقِعِ لَمْ أَكُنْ أَتَخَيَّلُ الْأَشْيَاءَ ، لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتًا خَلْفِي ،
فَقَفَزْتُ مَدْعُورًا .. كَانَ الصَّوْتُ لِطِفْلَةٍ صَغِيرَةٍ ، فَاسْتَدْرْتُ - فَرِعًا -



وَرَأَيْتُهَا .. الْقِطْعَةُ الْبَيْضَاءُ ! كَانَتْ تَرْنُو إِلَيَّ ، وَكَانَتْ الدَّمَاءُ تُعْطِي
وَجْهَهَا ! نَظَرْتُ إِلَى يَدَيَّ .. كَانَتَا مُلَطَّخَتَيْنِ بِالدَّمَاءِ أَيْضًا ! كُنْتُ مَا زِلْتُ
مُمْسِكًا بِقِطْعَةِ الْخَشَبِ ، وَصَرَخْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي فِي الْقِطْعَةِ : « إِذَا أَنْتِ
مَا زِلْتِ حَيَّةً ! » وَجَرَيْتُ نَحْوَهَا مُحَاوِلًا ضَرْبَهَا مَرَّةً أُخْرَى ، وَكَانَتْ
تُحْطِئَانِي تَذُقُ بِشِدَّةٍ عَلَى الْأَرْضِ . ضَرَبْتُ الْقِطْعَةَ فَوْقَ رَأْسِهَا ، ثُمَّ حَاوَلْتُ
أَنْ أُعِيدَ الْكُرَّةَ ، وَلَكِنَّهَا اخْتَفَتْ ! ثُمَّ ظَهَرَتْ ثَانِيَةً فِي رُكْنٍ آخَرَ مِنْ
الْحُجْرَةِ ، وَكَانَتْ تَنْظُرُ إِلَيَّ بِعَيْنَيْهَا الْحَمْرَاوَيْنِ . وَجَرَيْتُ خَلْفَهَا
وَحَاوَلْتُ أَنْ أُسَدِّدَ إِلَيْهَا الضَّرْبَاتِ ، وَلَكِنَّ الْقِطْعَةَ كَانَتْ تَخْتَفِي فِي كُلِّ
مَرَّةٍ . وَعِنْدَ ظَهْوَرِهَا - فِي كُلِّ مَرَّةٍ - كَانَتْ تَبْدُو مُلَطَّخَةً بِالدَّمَاءِ .

وَسَرَّعَانَ مَا غَطَّتِ الدَّمَاءُ جِسْمَهَا كُلَّهُ ، وَلَكِنَّهَا - مَعَ ذَلِكَ - كَانَتْ
تُظْهِرُ لِي مَرَّةً تَلَوَ الْأُخْرَى ، مَرَّةً هُنَا ، وَ مَرَّةً هُنَاكَ ! مَرَّةً أَمَامِي ، وَ مَرَّةً
خَلْفِي ! أحيانًا عَلَى الْأَرْضِ ، وَأحيانًا - أُخْرَى - عَلَى السَّرِيرِ ! بَلْ
وَأحيانًا فِي الْهَوَاءِ ! تَوَقَّفَ الْبُكَاءُ أَخِيرًا ، وَ اخْتَفَتْ الْقِطْعَةُ وَلَمْ تَعُدْ .
فَكَّرْتُ .. أَيْمُكُنْ أَنْ تُكُونَ كُلُّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ قَدْ حَدَّثَتْ فِي مُحِيطَتِي
فَقَطْ ، وَ أَنَّهَا تَخِيلَاتٌ ؟ مُجَرَّدُ تَخِيلَاتٍ ؟ !

لَا بُدَّ لِي إِذَا مِنْ أَنْ أُتَحَكَّمَ فِي أَعْصَابِي . نَعَمْ ، لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ .
تَذَكَّرْتُ الْقَابِسَ . كُنْتُ أُبَحِّثُ عَنِ الْقَابِسِ .. لَا بُدَّ أَنْ أَجِدَهُ . إِنِّي
سَجِينٌ فِي حُجْرَتِي ، وَالشَّيْخُ يَحْتَالُ عَلَيَّ ، فَإِنْ تَمَكَّنْتُ مِنَ الْعُتُورِ عَلَى
الْقَابِسِ ، أُمَكِّنَنِي أَنْ أَصْرِفَهُ .
جَثَوْتُ عَلَى رُكْبَتَيَّ لِكَيْ أُبَحِّثَ عَنِ الْقَابِسِ ، وَكَانَ لَا يَزَالُ عَلَى
الْأَرْضِ بِجَوَارِ سَرِيرِي . زَحَفْتُ بِطُءٍ وَخِفَّةٍ نَحْوَهُ مِثْلَ الْقِطْعَةِ ، وَكَانَ
الْقَابِسَ عُصْفُورًا ، وَكَأَنِّي قِطْعَةٌ .

هَمَسْتُ : « سَأُمْسِكُ بِكَ أَيُّهَا الْعُصْفُورُ الصَّغِيرُ . » كُنْتُ أَقْتَرِبُ مِنْهُ
شَيْئًا فَشَيْئًا ، حَاسِبًا أَنْفَاسِي ، ثُمَّ انْقَضَضَتْ عَلَيْهِ !

اِحْتَوَيْتُ الْقَابِسَ بَيْنَ يَدَيَّ . أَخِيرًا أَصْبَحَ فِي يَدَيَّ ! قَبَضْتُ عَلَيْهِ ! لَمْ
يُفْلِتْ مِنِّي هَذِهِ الْمَرَّةَ . كَانَ لَا بُدَّ لِي الْآنَ أَنْ أَجِدَ الْمَقْبِسَ ، فَتَحَسَّسْتُ

الْحَائِطُ بِأَصَابِعِي . أَيْنَ الْمَقْبَسُ ؟ نَعَمْ ، هَا هُوَ ذَا . لَمْ يَسْحَبِ الشَّبَحُ
الْقَابِسَ مِنْ يَدِي ، فَوَضَعْتُ الْقَابِسَ فِي الْمَقْبَسِ ؛ وَعَادَ النُّورُ .

فَقَرَرْتُ إِلَى الْفِرَاشِ ، وَاسْتَلْقَيْتُ عَلَى ظَهْرِي . أَخِيرًا ، كَانَ الضَّوُّ يَغْمُرُ
حُجْرَتِي ، فَجُلْتُ بِبَصَرِي فِي الْحُجْرَةِ ، وَلَمْ أَصْدُقْ عَيْنِي . لَمْ يَكُنْ
هُنَاكَ أَيُّ زُجَاجٍ مَكْسُورٍ عَلَى الْأَرْضِ ، وَلَمْ تَكُنْ خِزَانَةُ الْمَلَابِسِ مُلْقَاةً
عَلَى الْأَرْضِ ، وَلَمْ تَكُنِ النَّافِذَةُ مَكْسُورَةً . كُلُّ شَيْءٍ فِي حُجْرَتِي كَانَ
سَلِيمًا وَفِي مَكَانِهِ ! وَكَانَتِ الصُّورَةُ - صُورَةُ جُولِي - فِي مَكَانِهَا عَلَى
الْحَائِطِ ، وَكَانَ وَجْهُهَا يَتَسَيَّمُ لِي ، وَكَانَتْ خِزَانَةُ الْمَلَابِسِ فِي مَكَانِهَا
فِي رُكْنِ الْحُجْرَةِ ، وَكَانَ بَابُ الْخِزَانَةِ مُغْلَقًا .

نَهَضْتُ مِنَ الْفِرَاشِ وَفَتَحْتُهَا ؛ فَرَأَيْتُ مَلَابِسِي دَاخِلَهَا . وَكَانَ هُنَاكَ
أَيْضًا فُسْتَانُ جُولِي ، وَكَانَ مَقْعَدِي فِي مَكَانِهِ !
تَوَجَّهْتُ إِلَى بَابِ حُجْرَةِ النَّوْمِ ، وَحَاوَلْتُ أَنْ أَفْتَحَهُ ؛ فَانْفَتَحَ بِسُهُولَةٍ ،
ثُمَّ أَغْلَقْتُهُ ثَانِيَةً .

بَدَأْتُ أَضْحَكُ مِنْ نَفْسِي ، وَقُلْتُ : « إِنِّي تَحَيَّلْتُ كُلَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ !
الرَّقْصَ ، الْقِطْعَةَ .. كُلَّهَا مِنْ اخْتِلَاقٍ خَيَالِي ! »

عُدْتُ إِلَى الْفِرَاشِ ، وَنَظَرْتُ إِلَى الْمُنْبِيِّ الَّذِي كَانَ عَلَى مِثْطَدَةِ
السَّرِيرِ ، وَكَانَتِ السَّاعَةُ الثَّالِثَةُ وَالنِّصْفُ . جَلَسْتُ فِي الْفِرَاشِ أَفَكِّرُ لِمُدَّةٍ

عَشْرَ دَقَائِقَ تَقْرِيًا ، وَكَانَ الْمَصْبَاحُ مُضَاءً ، إِلَّا أَنِّي كُنْتُ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ
غَرِيبٍ .. كَانَ الشَّبَحُ لَا يَزَالُ مَوْجُودًا فِي الْحُجْرَةِ . لَقَدْ أَعَدْتُ الْقَابِسَ
إِلَى دَاخِلِ الْمَقْبَسِ ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ الشَّبَحُ لَا يَزَالُ هُنَاكَ ! لَقَدْ انْتَهَكَ
الشَّبَحُ آخِرَ قَاعِدَةٍ لِلْعِبَةِ . نَعَمْ ، لَقَدْ دَفَعْتُ بِالْقَابِسِ إِلَى الْمَقْبَسِ ، وَلَكِنَّهُ
لَمْ يَنْصَرِفْ !

مَلَأْنِي هَذِهِ الْفِكْرَةُ بِالذُّعْرِ وَالْفَزَعِ ! لَقَدْ انْتَهَكَ الشَّبَحُ جَمِيعَ قَوَاعِدِ
اللُّغَةِ : فَلَمْ يَخْتَفِ مَعَ إِنْارَةِ الْمَصْبَاحِ . وَأُطْفَأَتِ النُّورُ « بِاسْتِخْدَامِ
الْمِفْتَاحِ » وَمَعَ ذَلِكَ بَقِيَ « الطُّيُفُ الشَّرِيرُ » .

أَخْرَجْتُ الْقَابِسَ مِنَ الْمَقْبَسِ ، وَأَعَدْتُهُ عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ ظَلَّ
الشَّبَحُ فِي الْحُجْرَةِ . كَانَتِ الْحُجْرَةُ مُرْتَبَةً ، وَلَكِنَّهَا مَلِئَةٌ بِالشَّرِّ .

أُطْفَأَتِ الْمَصْبَاحُ ، وَحَاوَلْتُ أَنْ أَنْامَ ، وَلَكِنِّي لَمْ أُسْتَطِعْ . ثُمَّ حَاوَلْتُ
النَّوْمَ ، وَالنُّورُ مُضَاءً ، فَلَمْ أُسْتَطِعْ أَيْضًا . فِي النِّهَايَةِ أُطْفَأَتِ النُّورُ ،
وَاسْتَلْقَيْتُ فِي الْفِرَاشِ .

كُنْتُ أُسْتَطِيعُ أَنْ أَرَى الْحُجْرَةَ بِجَمِيعِ تَفَاصِيلِهَا فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ ،
وَفَجْأَةً سَمِعْتُ شَيْئًا يَتَنَفَّسُ بَعْمَقٍ . كَانَ الصَّوْتُ صَادِرًا مِنْ أَحَدِ أَرْكَانِ
الْحُجْرَةِ ، ثُمَّ رَأَيْتُ ظِلًّا دَاكِئًا فِي رُكْنِ الْحُجْرَةِ . كَانَ أَشْبَهَ بِعِمَامَةٍ
سَوْدَاءَ . كَانَ صَوْتُ التَّنَفُّسِ الْعَمِيقِ يَصْدُرُ عَنِ الظَّلَالِ .

بَدَأَتِ الظَّلَالُ تَتَحَرَّكُ نَحْوِي يَظُنُّ ، فَحَاوَلْتُ أَنْ أَقْفِزَ مُبْتَعِدًا عَنِ
الْفِرَاشِ ، وَلَكِنِّي - لِفَزْعِي - لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَحَرَّكُ . بَقِيتُ مُسْتَلْقِيًا فِي
الْفِرَاشِ ، بَيْنَمَا أَلْعِمَامَةُ السَّودَاءُ الرَّقِيقَةُ تَقْتَرِبُ مِنِّي .. تَقْتَرِبُ أَكْثَرَ فَكْثَرَ ،
حَتَّى أَصْبَحْتُ مُعَلَّقَةً فِي الْهَوَاءِ فَوْقِي مُبَاشِرَةً .

نَظَرْتُ إِلَى أَعْلَى مُحْمِلًا فِيهَا ، فَبَدَأَتْ تَهْبِطُ عَلَيَّ . كَانَتْ الْحُجْرَةُ
فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ فِي ظِلَامٍ دَامِسٍ ، فَقَدْ حَجَبَتِ أَلْعِمَامَةُ ضَوْءَ الْقَمَرِ ،
وَقَبْلَ مُرُورِ وَقْتٍ طَوِيلٍ كَانَتْ تُعْطِينِي وَ تُحِيطُ بِي . كُنْتُ لَا أَرَاهُ أَسْمَعُ
صَوْتَ نَفْسٍ عَمِيقٍ ، وَكُنْتُ أَشْعُرُ بِهِ يَلْفَحُ وَجْهِي . كَانَ نَفْسٌ شَبَحَ
شِرِيرٍ ، وَحَاوَلْتُ أَنْ أَصْرُخَ ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ ، بَلْ لَمْ أَسْتَطِعْ التَّنَفُّسَ .
كُنْتُ - فِي نَفْسِ الْوَقْتِ - أَسْمَعُ صَوْتًا آخَرَ يَأْتِي مِنَ الْخَارِجِ ،
وَكَانَ صَوْتُ قِطَّةٍ خَارِجٍ نَافِذَتِي ، كَانَتْ أَلْقِطَةُ تَبْكِي ، وَكَأَنَّهَا طِفْلٌ
صَغِيرٌ .

رَقَدْتُ تَحْتَ الظَّلَالِ الدَّاكِنَةِ ، كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّهَا ظِلَالُ أَلْمَوْتِ .



كُنْتُ فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ فِي ظِلَالِ الْمَوْتِ ، وَ لُكِنِّي لِأَزَالُ حَيًّا . إِنِّي فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ جَالِسٌ فِي حُجْرَةِ مَكْتَبِي أَكْتُبُ هَذِهِ الْقِصَّةَ . السَّاعَةُ تُشِيرُ الْآنَ إِلَى الْعَاشِرَةِ مَسَاءً . لُكِنِّي مُتَعَبٌ جِدًّا لِأَنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَنَامَ لَيْلَةَ أَمْسٍ دَقِيقَةً وَاحِدَةً .

لَمْ تُلْحَقْ بِي الظَّلَالُ - الَّتِي وَصَفْتُهَا مِنْ قَبْلُ - أَيَّ ضَرَرٍ . وَعِنْدَمَا أَشْرَقَ نَوْرُ الصَّبَاحِ اخْتَفَتِ الظَّلَالُ ، فَهَضَبْتُ ، ثُمَّ غَادَرْتُ حُجْرَتِي . كَانَتْ الظَّلَالُ قَدْ اخْتَفَتْ ، وَلَكِنَّ الشَّبَحَ ظَلَّ فِي الْحُجْرَةِ ، بَلْ إِنَّهُ فِي الْحُجْرَةِ الْآنَ .

إِنِّي فِي حُجْرَةِ مَكْتَبِي الْآنَ ، وَ لَا يَسْتَطِيعُ الشَّبَحُ أَنْ يُؤْذِنِي هُنَا ، (أَوْ لَعَلِّي أَمُلُ ذَلِكَ) . كُنْتُ قَدْ حَضَرْتُ إِلَى حُجْرَةِ مَكْتَبِي فِي الْخَامِسَةِ وَالنِّصْفِ هَذَا الصَّبَاحَ ، وَ انْهَمَكْتُ فِي كِتَابَةِ هَذِهِ الْقِصَّةِ مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ . الْأَوْرَاقُ تُعْطِي مَكْتَبِي ، وَ أَنَا أَكْتُبُ مُنْذُ أَكْثَرِ مِنْ سِتِّ عَشْرَةَ سَاعَةً ، وَ مَازِلْتُ مُتَهَمِكًا فِي الْكِتَابَةِ . لَمْ أَتَنَاوَلَ شَيْئًا ، لَمْ أَغْتَسِلْ ، وَ مَازِلْتُ مُرْتَدِّيًا بِيَعَامَتِي ، وَ الْجَوُّ بَارِدٌ بِالْخَارِجِ ، وَ بِيَعَامَتِي مَصْنُوعَةٌ مِنْ قَمَاشٍ خَفِيفٍ . وَ مَعَ ذَلِكَ لَا أَشْعُرُ بِالْبَرْدِ ، لَا أَشْعُرُ إِلَّا بِشَيْءٍ وَاحِدٍ

فَقَطْ : أَنَّنِي مُتَعَبٌ ، مُتَعَبٌ جِدًّا .

أَوْشَكْتُ عَلَى الْإِنْتِهَاءِ مِنْ قِصَّتِي . لَقَدْ حَاوَلْتُ - فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ طَوِيلٍ - أَنْ أَصِفَ حَيَاتِي مُنْذُ مَوْتِ جُولِي . وَلَعَلَّكَ لَا تُصَدِّقُ أَنَّ أَيَّ شَيْءٍ مِنْ هَذَا كُلِّهِ حَدَثَ بِالْفِعْلِ ، وَلَعَلَّكَ تَظُنُّنِي مَجْنُونًا ، وَقَدْ تَقُولُ : « إِنَّكَ لِقَاتِلٌ ، وَضَمِيرُكَ يُعَاقِبُكَ . » قَدْ تَظُنُّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شَبَحٌ وَ الْأَمْرُ مَرَجَعُهُ كُلُّهُ إِلَى ضَمِيرِي : اخْتَلَقَ ضَمِيرِي الشَّبَحَ . فَإِذَا رَاوَدَكَ أَيُّ مِنْ هَذِهِ الظُّنُونِ ، فَإِنَّكَ مُخْطِئٌ ، فَكُلُّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ حَدَثَتْ بِالْفِعْلِ !

بَدَأْتُ قِصَّتِي بِشَبَحٍ لَعُوبٍ ، وَ انْتَهَيْتُ بِشَبَحٍ شَرِيرٍ . كُنَّا فِي الْبِدَايَةِ نَلْعَبُ لُغْبَةً جَمِيلَةً ، وَ تَحَوَّلَتِ اللَّغْبَةُ - بِمُرُورِ الزَّمَنِ - إِلَى لُغْبَةٍ خَطِرَةٍ ! وَ اسْتَمَرَّتْ هَذِهِ اللَّغْبَةُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً . وَقَدْ عِشْتُ مَعَ زَوْجَتِي جُولِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً . إِذَا فَتَارِيخُ اللَّغْبَةِ يُسَاوِي تَارِيخَ حَيَاتِي مَعَ جُولِي .

كُنْتُ فِي الْبِدَايَةِ سَعِيدًا مَعَهَا ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَغَارُ مِنْ أَصْدِقَائِهَا ، ثُمَّ سَيَّطَرْتُ أَفْكَارَ شَرِيرَةٍ عَلَى تَفْكِيرِي ؛ فَدَمَّرْتُ جُولِي ، وَ دَمَّرْتُ حَيَاتِنَا مَعًا . كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَتَكُونَ جُولِي لِي ، لِي وَحْدِي . وَ حَدَثَ الشَّيْءُ نَفْسُهُ فِي اللَّغْبَةِ . كَانَتْ لُغْبَةً جَمِيلَةً فِي الْبِدَايَةِ ، ثُمَّ شَعَرَ الشَّبَحُ بِالْغَيْرَةِ ، كَانَ يُرِيدُنِي أَنْ أَكُونَ وَحِيدًا ، وَتَحَوَّلَ إِلَى شَبَحٍ شَرِيرٍ ، وَ حَاوَلَ أَنْ يُدَمِّرَنِي .

وَالآنَ لَا يَشْغَلُ تَفْكِيرِي غَيْرَ سُؤَالٍ وَاحِدٍ : هَلْ سَيُذَمِّرُنِي الشَّيْخُ ؟
فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ أَحَاوِلُ أَلَّا أَفَكِّرَ فِي هَذَا السُّؤَالِ ، وَسَأَتَوَصَّلُ إِلَى الْإِجَابَةِ
عَنْهُ ، عِنْدَمَا أَذْهَبُ إِلَى الْفِرَاشِ ، فَأَنَا لَا أَرْغَبُ فِي التَّفَكُّيرِ فِيهِ الْآنَ .

وَلَكِنْ فِي أَيِّ شَيْءٍ أَفَكَّرُ ؟ لَمْ تَعُدِ الْأَشْيَاءُ - الَّتِي اعْتَدْتُ التَّفَكُّيرَ
فِيهَا - ذَاتَ أَهَمِّيَّةٍ بِالنِّسْبَةِ لِي . إِنَّ مُغَامِرَاتِ فِيلْبِرْتِ وَإِلَيَّ أَشْبَهُ بِحُلْمٍ .

لَقَدْ أَصْبَحْتُ لُعْبَتِي مَعَ الشَّيْخِ تُشَكِّلُ حَيَاتِي كُلَّهَا . إِنِّي أَعْرِفُ تَمَامًا
أَنَّهُ يُمَكِّنُنِي إِنْقَافُ اللَّعْبَةِ ، وَتَغْيِيرُ مَجْرَى حَيَاتِي . وَ هُنَاكَ طَرِيقَةٌ وَاحِدَةٌ
لِلْقِيَامِ بِذَلِكَ ، وَ هِيَ أَنَّ أَحْكِي هَذَا السِّرَّ لِشَخْصٍ مَا ، وَ أَنَا أَعْرِفُ أَنَّ
اللَّعْبَةَ عِنْدَئِذٍ سَتَتَوَقَّفُ . سَيُزَوِّرُنِي لُؤْيِسُ غَدًا ، وَ لِكَيْنِي لَنْ أَلْعَبَ الشُّطْرُنَجَ
مَعَهُ . سَأَحْكِي لَهُ هَذِهِ الْقِصَّةَ ، وَ سَيَعُودُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى سَابِقِ عَهْدِهِ .
مَاذَا سَيَعْتَقِدُ لُؤْيِسُ عِنْدَمَا أَخْبِرُهُ عَنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ ؟ لَا أَعْرِفُ .

سَتَنْتَهِي اللَّعْبَةُ إِذَا أَخْبَرْتُ لُؤْيِسَ بِالسِّرِّ - وَ « إِذَا » هُنَا تُشِيرُ إِلَى شَرْطٍ
صَعْبٍ .. هَلْ بِإِمْكَانِي أَنْ أُخْبِرَ لُؤْيِسَ عَنْ سِرِّي ؟ لَا أَدْرِي ! إِذَا قُدِّرَ
لِي أَنْ أَعِيشَ بَعْدَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ ، فَمِنْ الْمُؤَكَّدِ أَنَّي سَأُخْبِرُهُ . أَمَّا إِذَا مِتُّ ،
أَيُّ إِذَا لَمْ أُطْلِعْ لُؤْيِسَ عَلَى قِصَّتِي ، فَإِنَّهَا سَتَكُونُ مُسَجَّلَةً فِي هَذَا
الْمَخْطُوطِ . وَ قَدْ يَجِدُ لُؤْيِسُ هَذَا الْمَخْطُوطَ ، وَ يَقُومُ بِنَشْرِهِ . وَ يَا لَهُ
مِنْ مَخْطُوطٍ ! كُلُّهُ أَوْرَاقٌ مُبَعَثَرَةٌ عَلَى مَكْتَبِي ، وَ لَا تَحْمِلُ هَذِهِ الْأَوْرَاقُ

أَيُّهُ أَرْقَامٌ . لَقَدْ كَتَبْتُهَا - كُلُّهَا - بِقَلَمِ الرِّصَاصِ ؛ وَ لِذَلِكَ سَيَكُونُ مِنَ
الصَّعْبِ قِرَاءَتِهَا ، وَ لَيْسَ بَيْنَ عِبَارَاتِهَا نَقْطٌ أَوْ فَوَاصِلٌ . فَإِذَا أَرَادَ لُؤْيِسُ
أَنْ يَنْشُرَ الْمَخْطُوطَ ، فَعَلَيْهِ - أَوَّلًا - مُرَاجَعَتُهُ ، وَ اعْتِقَادُهُ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ
مُرَاجَعَتَهُ مُرَاجَعَةً دَقِيقَةً .

لَمْ أَفَكِّرْ فِي عُنْوَانٍ جَذَابٍ لِلْكِتَابِ . وَ لَعَلَّ « لُعْبَةُ خَطِرَةٌ » يَكُونُ
عُنْوَانًا جَذَابًا . غَيْرَ أَنَّ مَخَاوِفِي لِأَسَاسِ لَهَا ، فَلَنْ أَمُوتَ ، وَ سَأُرَاجِعُ
الْمَخْطُوطَ وَ أَقُومُ بِنَشْرِهِ بِنَفْسِي ، وَ لَنْ يَرَى لُؤْيِسُ هَذَا الْمَخْطُوطَ أَبَدًا .

لَقَدْ كَانَ يَوْمًا غَرِيبًا ، غَرِيبًا مِنْ عِدَّةِ نَوَاحٍ . لَمْ أَكُنْ قَدْ كَتَبْتُ كَلِمَةً
وَاحِدَةً لِمُدَّةِ شَهْرٍ كَامِلٍ ، أَمَّا الْيَوْمَ فَقَدْ كَتَبْتُ كِتَابًا بِأَكْمَلِهِ .
الْيَوْمَ هُوَ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ مِنْ شَهْرِ يَنَائِرٍ . لَقَدْ مَضَى عَلَى وَفَاةِ جُولِي
اثْنَا عَشَرَ عَامًا ، عِشْنَا مَعًا أَرْبَعَةً وَ عِشْرِينَ عَامًا . يَا لَهُ مِنْ يَوْمٍ !

بِالْأَمْسِ كَانَتِ الشَّمْسُ مُشْرِقَةً فِي سَمَاءٍ صَافِيَةٍ ، أَمَّا الْيَوْمَ فَقَدْ امْتَلَأَتِ
السَّمَاءُ بِالسُّحُبِ وَ الْغُيُومِ . إِنَّهُ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ الشِّتَاءِ الْحَقِيقِيِّ ، سَأَذْكُرُهُ
دَائِمًا ، وَ لَنْ أَنْسَاهُ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ .

اَثْنَاءَ عَمَلِي فِي الْكِتَابِ الْيَوْمَ ، نَظَرْتُ بِضَعِ مَرَّاتٍ خَارِجَ النَّافِذَةِ ،
وَ الْآنَ قَدْ حَلَّ الظَّلَامُ - بِطَبِيعَةِ الْحَالِ . لَقَدْ كَانَتْ حَدِيقَتِي - فِي فِتْرَةٍ
سَابِقَةٍ - خَالِيَةً مِنَ الْقَطِيطِ وَ مَا شَابَهَ ذَلِكَ ، وَ لَكِنْ لَمْ يَتَوَافَرَ لِي وَقْتُ

كافٍ لِلنَّظَرِ كَثِيرًا خَارِجَ النَّافِذَةِ ، فَقَدْ كَانَتْ قِصَّتِي تَشْغُلُ تَفْكِيرِي طَوَالَ
الْيَوْمِ .

حَاوِلْ أَنْ تَتَخَيَّلَنِي فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ . إِنَّنِي جَالِسٌ إِلَى مَكْتَبِي ، بِمِصْبَاحِ
الْمَكْتَبِ مُضَاءً ، وَ لَمْ أُسَدِلْ سِتَائِرَ حُجْرَةِ الْمَكْتَبِ . وَ الْقَمَرُ فِي وَسْطِ
السَّمَاءِ ، وَ يُمَكِّنُنِي رُؤْيَاهُ خِلَالَ نَافِذَةِ الْحُجْرَةِ . إِنَّنِي وَحِيدٌ فِي هَذَا
الْمَنْزِلِ الْكَبِيرِ . يَسُودُ الْبَيْتُ ظِلَامٌ وَ صَمْتُ ، وَ حُجْرَةُ نَوْمِي فِي الطَّرَفِ
الْآخِرِ مِنَ الْمَنْزِلِ ، وَ أَعْرِفُ أَنَّهُ - آجِلًا أَوْ عَاجِلًا - لَا بُدَّ لِي مِنَ التَّوَجُّهِ
إِلَيْهَا . بَابُ حُجْرَةِ نَوْمِي مُغْلَقٌ ، غَيْرَ أَنَّنِي أَعْرِفُ أَنَّ هُنَاكَ شَخْصًا خَلْفَهُ ،
وَ أَعْرِفُ أَنَّ شَبَحَ جُولِي فِي الْحُجْرَةِ ، وَ أَنَّهُ فِي انْتِظَارِي . إِنَّنِي حِينَ
أَدْخُلُ تِلْكَ الْحُجْرَةَ أَكُونُ قَدْ دَخَلْتُ عَالَمًا شَرِيرًا . وَ عِنْدَمَا تَكُونُ حَائِفًا ،
فَإِنَّكَ تَنْتَظِرُ خَلْفَكَ طَوَالَ الْوَقْتِ . أَنْتِ تَكْرَهُ الظَّلَامَ .. أَتَذْكُرُ حِينَ كُنْتُ
طِفْلًا ؟ عِنْدَمَا كُنْتُ طِفْلًا كَانَ سَرِيرِي مُلَاصِقًا لِلْحَائِطِ ، وَ كُنْتُ لَا أَنَامُ
أَبَدًا وَ وَجْهِي نَاجِيَةً الْحَائِطِ ، فَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ « شَيْءٌ
مَا » خَلْفِي .

وَ لَا تَزَالُ هَذِهِ الْمَخَافُوفُ وَالْهَوَاجِسُ تُرَاوِدُنِي . وَ اللَّيْلَةُ لَا بُدَّ لِي مِنْ
أَنْ أَذْهَبَ إِلَى حُجْرَةِ نَوْمِي وَحْدِي ، وَ رَبِّمَا لَا أَخْرُجُ مِنْهَا حَيًّا أَبَدًا .

كُنْتُ دَائِمًا أَخَافُ مِنَ الْأَشْبَاحِ . وَ فِي طِفُولَتِي كُنْتُ عَادَةً أُسَدِلُ
السِّتَائِرَ ثُمَّ أَتَفَحَّصُهَا ، وَ كَانَتْ السِّتَائِرُ مَنقُوشَةً بِالْأَزْهَارِ ، وَ لَكِنِّي اعْتَدْتُ

أَنْ أَرَى فِي هَذِهِ الرُّسُومِ وَجُوهًا .. كَانَتْ الْوُجُوهُ تَبْدُو لِي أحيانًا سَعِيدَةً ،
وَ أحيانًا أُخْرَى شَرِيرَةً ، وَ عِنْدَمَا كُنْتُ أَطْفِئُ النُّورَ كُنْتُ أَتَخَيَّلُهَا ، وَ قَدْ
مَلَأْتُ الْحُجْرَةَ ، وَ التَّقْتُ حَوْلِي . كُنْتُ أَصْرُخُ أحيانًا ؛ فَتَأْتِي أُمِّي إِلَى
الْحُجْرَةِ ، وَ لَكِنْ إِذَا صَرَخْتُ اللَّيْلَةَ ، فَمَنْ ذَا الَّذِي يُسْرِعُ لِنَجْدَتِي ؟ !
مَنْ ذَا يَقُولُ لِي : « إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ يَا عَزِيزِي ، ثُمَّ آلَانَ ؛
لَقَدْ رَأَيْتَ حُلُمًا مُفْزِعًا . »

بِالتَّأَكِيدِ لَا أَحَدٌ ، سَأَكُونُ وَحْدِي ، بِمُفْرَدِي مَعَ بُولَدِي - أَوْ جُولِي -
مَعَ الشَّبَحِ .

لَعَلَّكَ تَسْأَلُنِي : « وَ لِمَ لَا تَتْرُكُ الْمَنْزِلَ ؟ مَا زَالَ أَمَامَكَ وَقْتُ كَافٍ .
لَا تَبْقُ هُنَا . لَا تَلْعَبِ اللَّعْبَةَ اللَّيْلَةَ . » وَ لَكِنِّي يَجِبُ أَنْ أَلْعَبَ اللَّعْبَةَ مَرَّةً
أُخْرَى . إِنَّنِي أَشْعُرُ بِمِثْلِ النَّوْمِ ، وَلَكِنِّي سَأَكُونُ يَقِظًا ثَمَامًا . عِنْدَمَا تَبْدَأُ
الْمُبَارَاةَ ، دَائِمًا أَكُونُ مُتَيَقِّظًا .

لِمَ لَا أَتَّصِلُ هَاتِفِيًّا بِلُيُوسَ ؟ فَبِمَاكَانِهِ الْحُضُورُ ، وَ مُلَازِمَتِي اللَّيْلَةَ .
أَوَدُّ أَنْ أُخْبِرَكَ بِشَيْءٍ .. لَقَدْ حَاوَلْتُ - مِرَارًا - أَنْ أَتَّصِلَ بِلُيُوسَ هَاتِفِيًّا
هَذَا الْمَسَاءَ ، وَ لَكِنَّ الْحَرَارَةَ انْقَطَعَتْ عَنِ التَّلِفُونِ ، وَ لَا أَسْمَعُ شَيْئًا حِينَ
أَرْفَعُ السَّمَاعَةَ . إِنَّنِي مَعزُولٌ عَنِ الْعَالَمِ . وَ عَلَى ذَلِكَ هُنَاكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ
فَقَطُّ يُمَكِّنُ أَنْ أَفْعَلَهُ ، يَجِبُ أَنْ أَلْعَبَ الْمُبَارَاةَ . تُرَى .. كَيْفَ سَتَكُونُ

لُغْبَةُ اللَّيْلَةِ ؟ إِنَّنِي أَرْتَعِدُ عِنْدَمَا أَفَكِّرُ فِيهَا ، وَ قَلْبِي يَمْتَلِئُ رُغْبًا ، وَ يَدِي تَرْتَعِشُ آلَانَ وَ هِيَ تَخْطُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ . مَاذَا سَيَحْدُثُ ؟ سَأَدْخُلُ حُجْرَةَ النَّوْمِ ، وَ لَنْ أَضْطَرَّ لِجَذْبِ الْقَائِسِ حَتَّى أَسْتَدْعِيَ الشَّبَحَ ، فَالشَّبَحُ هُنَاكَ بِالْفِعْلِ ، وَ سَأَذْهَبُ إِلَى الْفِرَاشِ وَ تَبْدَأُ اللَّغْبَةَ . وَ لَكِنْ أَيْ ضَرْبٍ مِنَ الْأَلْعَابِ ؟ وَ عَلَى أَيِّ صُورَةٍ سَتَكُونُ نَهَائِثُهَا ؟

أَعْرِفُ أَنَّي أَتَكَلَّمُ كَثِيرًا ، أَوْ - بِالْأُخْرَى - أَكْتُبُ كَثِيرًا ، وَ لَمْ يَعُدْ هُنَاكَ مَا أَخْبِرُكَ بِهِ . إِذَا لَمْ أَسْتَرْسِلْ فِي الْكِتَابَةِ ؟ لَا لِشَيْءٍ إِلَّا لِأَسْتَأْنِسَ بِصُحْبَتِكَ . إِنَّنِي أَكْتُبُ لِأَنَّي أَخْشَى أَنْ أَغَادِرَ حُجْرَةَ الْمَكْتُبِ ، فَأَنَا أَشْعُرُ بِالْأَطْمِئْنَانِ هُنَا ، وَ إِذَا تَوَقَّفْتُ عَنِ الْكِتَابَةِ ؛ فَسَأُضْطَرُّ إِلَى التَّوَجُّهِ إِلَى حُجْرَةِ نَوْمِي .

أَعْتَقِدُ أَنَّهُ حَانَ الْوَقْتُ آلَانَ ، لَا بُدَّ مِنْ أَنْ أَتَوَقَّفَ عَنِ الْكِتَابَةِ ، وَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَقُولُ لَكَ : « لَيْلَةٌ سَعِيدَةٌ » ، أَوْ - بِالْأُخْرَى - « وَدَاعًا » ، لَعَلَّهُ وَدَاعٌ لِلْأَبَدِ .

الفصل العاشر الملحق

إِسْمِي لَوَيْسَ ، وَ كَمَا عَرَفْتُ - مِنْ خِلَالِ أَحْدَاثِ هَذِهِ الْقِصَّةِ - كُنْتُ صَدِيقًا لَوَيْمِ هَارِيسَ . لَقَدْ أَضَفْتُ هَذَا الْمُلْحَقَ إِلَى كِتَابِي لِكَيْ أَكْمِلَ الْقِصَّةَ .

مَاتَ وَلِيمُ فِي لَيْلَةِ الثَّانِي وَ الْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ يَنَازِيرِ عَامِ الْفِ وَ تِسْعِمِئَةٍ وَ سِتٍّ وَ سَبْعِينَ ، وَ أَخْبَرَنِي الطَّبِيبُ الشَّرْعِيُّ أَنَّهُ فَارَقَ الْحَيَاةَ قَبْلَ مُتَنَصِّفِ اللَّيْلِ مُبَاشَرَةً : أَيَّ بَعْدَ سَاعَةٍ تَقْرِيًّا مِنْ ذَهَابِهِ إِلَى الْفِرَاشِ .

لِمَاذَا مَاتَ وَلِيمُ ؟ مَا مِنْ أَحَدٍ يَسْتَطِيعُ تَفْسِيرَ ذَلِكَ ، فَمَوْتُهُ كَانَ لُغْزًا مِثْلَ كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْدَاثِ فِي قِصَّتِهِ . كَانَتْ حَيَاتُهُ لُغْزًا ، وَ كَذَلِكَ كَانَتْ وَفَاتُهُ . وَ لَمْ يَكُنْ لَوَيْمِ أَقَارِبُ ، وَ كُنْتُ صَدِيقَهُ الْوَحِيدَ . لَقَدْ سَأَلَنِي رِجَالُ الشَّرْطَةِ كَثِيرًا مِنَ الْأَسْئَلَةِ عَنْ وَلِيمِ ؛ وَ لَمْ أَتِمَّكَنْ مِنْ إِفَادَتِهِمْ بِأَكْثَرِ مِمَّا جَاءَ فِي كِتَابِي مِنْ مَعْلُومَاتٍ . وَ قَامَ كَثِيرٌ مِنْ ضَبَاطِ الشَّرْطَةِ بِقِرَاءَةِ مَخْطُوطِ وَلِيمِ ؛ وَ صَدَّقَ بَعْضُهُمْ قِصَّتَهُ ، وَ شَكَّ فِيهَا الْآخَرُونَ .

إِنَّ مَوْتَهُ لُغْزٌ فَعَلًا !

وَ جَدْتُ مَخْطُوطَ قِصَّةِ « لُغْبَةُ خَطِرَةٌ » فِي حُجْرَةِ مَكْتُبِ وَلِيمِ ، وَ ذَلِكَ

في ليلة موته ، وَ بَعْدَ مُرُورِ عِدَّةِ أَيَّامٍ سَمَحَتْ لِي الشَّرْطَةُ بِأَخْذِ الْمَخْطُوطِ
مَعِيَ لِلْمَنْزِلِ . كَانَ الْمَخْطُوطُ - بِأَكْمَلِهِ - فِي حُجْرَةِ الْمَكْتَبِ ثَمَامًا كَمَا
تَرَكَهُ وَلَيْمَ ، وَكَانَتْ هُنَاكَ أَوْراقٌ كَثِيرَةٌ تُعْطِي الْمَكْتَبَ ، وَكَذَلِكَ أَرْضِيَّةُ
الْحُجْرَةِ ، كَمَا كَانَتْ هُنَاكَ عِدَّةُ أَقْلَامٍ عَلَى الْمَكْتَبِ .

إِنِّي أَكْتُبُ هَذَا الْمُلْحَقَ بَعْدَ مُرُورِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ عَلَى مَوْتِ وَلَيْمَ ، وَقَدْ
انْتَهَيْتُ - مِنْذُ فَتْرَةٍ وَجيزةٍ - مِنْ مُرَاجَعَةِ الْمَخْطُوطِ . وَكَانَ وَلَيْمَ قَدْ كَتَبَ
« لُغْبَةُ خَطَرَةٌ » - وَاعْتَقَدَ أَنَّهُ عُنْوَانٌ « مُنَاسِبٌ » ، وَلِذَا سَأَلْتَنِي عَلَيْهِ كَمَا
هُوَ - فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ طَوِيلٍ ، وَلَكِنِّي قَضَيْتُ وَقْتًا طَوِيلًا فِي تَرْبِيئِهَا .

كَتَبَ وَلَيْمَ الْقِصَّةَ فِي عَجَلَةٍ ؛ لِذَا كَانَ مِنَ الصَّعْبِ قِرَاءَةَ الْمَخْطُوطِ ، وَلَمْ
يَضَعْ نُقْطًا فِي أَوَاخِرِ الْجُمْلِ ، وَلَمْ يَضَعْ فَوَاصِلَ ، وَلَمْ تُكُنْ عِبَارَاتُهُ
كَامِلَةً ؛ وَلِهَذَا الْأَسْبَابِ لَمْ يَكُنْ إِعْدَادُ الْمَخْطُوطَةِ وَجَعَلُهَا صَالِحَةً لِلنَّشْرِ
أَمْرًا هَيِّنًا . وَقَدْ قُمْتُ بِتَقْسِيمِ الْكِتَابِ إِلَى فُصُولٍ ؛ لِذَا آمَلُ أَنْ يَكُونَ
سَهْلَ الْقِرَاءَةِ . وَقَدْ أُعْطِيتُ لِكُلِّ فُصْلٍ عُنْوَانًا ، إِلَّا أَنِّي لَمْ أَضِفْ كَلِمَةً
إِلَى قِصَّةِ وَلَيْمَ ، وَلَمْ أَقْطَعْ مِنْهَا شَيْئًا ، فَهِيَ - ثَمَامًا - كَمَا كَتَبَهَا .
وَقُمْتُ بِنَشْرِ هَذِهِ الْقِصَّةِ ، لِأَنِّي اعْتَقَدْتُ أَنَّ وَلَيْمَ يُرِيدُ مِنِّي أَنْ أُنْشَرُهَا .

وَفِي أَثْنَاءِ قِيَامِي بِمُراجَعَةِ هَذِهِ الْقِصَّةِ ، سَأَلْتُ نَفْسِي أَسْئَلَةً كَثِيرَةً عَنْ
وَلَيْمَ . وَقَدْ تَضَمَّنَ كِتَابُهُ الْإِجَابَةَ عَنْ بَعْضِ أَسْئَلَتِي ، يَتِمُّا بِقِيَّتِ الْأُخْرَى
دُونَ إِجَابَةٍ .

كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ وَلَيْمَ لَمْ يَكُنْ سَلِيمًا - أَغْنَى مِنَ النَّاحِيَةِ الْعَقْلِيَّةِ . فَقَدْ
كَانَ ذِهْنُهُ مَشْغُولًا - دَائِمًا - بِشَيْءٍ مَا ، وَكُنْتُ الْحَظُّ ذَلِكَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ
نَلْتَقِي فِيهَا . وَلَمْ يَكُنْ يَأْكُلُ حَيِّدًا ، وَلَمْ يَكُنْ يَأْخُذُ قِسْطًا كَافِيًا مِنَ النَّوْمِ ،
وَكَُنْتُ الْحَظُّ ذَلِكَ أَيْضًا . وَفِي السَّنَةِ الَّتِي سَبَقَتْ مَوْتَهُ كَانَ جِسْمُهُ يَزْدَادُ
نُحُولًا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، وَلَمْ يَكُنْ يَهْتَمُّ بِالطَّعَامِ أَوْ بِعَمَلِهِ أَوْ بِمُبَارَاةِ
الشَّطْرَنْجِ الَّتِي كُنَّا نَلْعَبُهَا مَعًا . لَمْ يَكُنْ - فِي الْوَاقِعِ - مُهْتَمًّا بِالْحَيَاةِ
ذَاتِهَا ! بِالتَّأَكُّيدِ كَانَ مُهْتَمًّا بِشَيْءٍ مَا ، وَلَكِنَّ هَذَا « الشَّيْءَ » كَانَ لُغْزًا
بِالنَّسْبَةِ لِي ، وَلَمْ يُخْبِرْنِي بِهِ قَطُّ . كَانَ هَذَا الشَّيْءُ هُوَ سِرُّهُ الَّذِي أَثَرُ
أَنْ يُخْفِيَهُ عَنِّي .

رَأَيْتُ أَنَّ أُسْتَدْعِي طَبِيبًا ، وَلَكِنَّهُ رَفَضَ . وَكَانَتْ مُبَارَاةُ الشَّطْرَنْجِ
الَّتِي لَعَبْنَاهَا أَثْنَاءَ الْعَامِ الَّذِي سَبَقَ مَوْتَهُ تَبْدُو سَخِيفَةً مُيَمَّلَةً ، فَلَمْ يَعْذِ وَلَيْمَ
يَلْعَبُ بِحِمَاسَةٍ أَوْ اهْتِمَامٍ . فَقَدْ كَانَ دَائِمًا يَتَوَقَّفُ أَثْنَاءَ الْمُبَارَاةِ ، وَيَنْظُرُ
إِلَى أَعْلَى ، نَحْوَ السَّقْفِ . وَكَانَ يُحَاوِلُ أَنْ يُرْهِفَ السَّمْعَ إِلَى شَيْءٍ مَا .
هَلْ تَذْكُرُ أَنَّنِي - ذَاتَ مَرَّةٍ - سَأَلْتُهُ عَنْ بُولَدِي ، وَأَنَّهُ رَفَضَ أَنْ يُخْبِرَنِي
بِأَيِّ شَيْءٍ عَنْهُ ؟

قَالَ فِي كِتَابِهِ إِنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ صَوْتَ طَرَقَاتٍ آتِيَةٍ مِنَ الْحُجْرَةِ فِي الطَّابِقِ
الْعُلَوِيِّ ، هَلْ كَانَ هُنَاكَ فِعْلًا صَوْتُ طَرَقَاتٍ ؟ لَا أَدْرِي . فَلَمْ أَسْمَعْهُ
بِنَفْسِي .

أَكَانَ وَلَيْمَ مَجْنُونًا ؟ أَحَدَثْتُ فَعَلًا كُلُّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ، أُمَ كَانَتْ وَلِيدَةً خَيَالِهِ ؟ لَا أَذْرِي ! كَانَ لَوَلِيمَ - بِالتَّأَكِيدِ - خِيَالٌ خَصَبٌ ، وَ لَعَلَّكَ قَرَأْتَ لَهُ قِصَصَ فِيلِبَرْت وَايِلِي . إِذَا كُنْتَ قَدْ قَرَأْتَهَا ، فَلَا بُدَّ أَنَّكَ تَعْرِفُ الْكَثِيرَ عَنْ خِيَالِ وَلِيمَ . فَفِي إِحْدَى هَذِهِ الْقِصَصِ - لَا أَذْكَرُ عُتَوَائِهَا آلَانَ - نَرَى فِيلِبَرْت وَايِلِي سَجِينًا فِي بَيْتٍ تَسْكُنُهُ الْأَشْبَاحُ .

لَعَلَّكَ تَذْكُرُ الْمَشْهَدَ . لَقَدْ مَرَّ هَذَا الْمَشْهَدُ بِخَاطِرِي عِنْدَمَا قَرَأْتُ هَذِهِ الْقِصَّةَ . وَكَانَ وَلِيمَ كَاتِبًا بِمَعْنَى الْكَلِمَةِ ، فَهُوَ يَقُولُ فِي قِصَّتِهِ إِنَّهُ كَانَ شَخْصًا مُمِلًا . صَحِيحٌ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَيَاةٌ مُثِيرَةٌ (إِذَا سَأَلْنَا عَنْ مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي الْوَاقِعِ) ، وَلَكِنْ كَانَ عَقْلُهُ قَادِرًا عَلَى إِثَارَةِ الْإِهْتِمَامِ . يُمَكِّنُكَ أَنْ تُدْرِكَ ذَلِكَ مِنْ مُمِلَاحِظَةٍ كَيْفَ يُعْمَلُ عَقْلُهُ فِي قِصَصِهِ الْبُولِيسِيَّةِ ، وَيُمَكِّنُكَ مُتَابَعَةَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ هَذَا .

هَلْ قَتَلَ وَلِيمَ جُولِي ؟ سُؤَالَ هَامَّ آخَرُ ! لَيْسَ مِنَ السَّهْلِ الْجَزْمُ بِشَيْءٍ حَوْلَ ذَلِكَ . إِنِّي عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّهُ كَانَ يُحِبُّهَا بِعُمُقٍ .

لَعَلَّ وَلِيمَ كَانَ غَيُورًا ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُظْهِرْ هَذَا قَطُّ . لَقَدْ وَصَفَ جُولِي وَصْفًا جَيِّدًا فِي قِصَّتِهِ . كَانَتْ جُولِي شَخْصِيَّةً رَائِعَةً ، أَحْبَبْنَاهَا كُلُّنَا ، وَكَانَتْ لَهَا - بِطَبِيعَةِ الْحَالِ - شَخْصِيَّةٌ مُخْتَلِفَةٌ جِدًّا عَنْ شَخْصِيَّةِ وَلِيمَ . كَانَتْ لَهَا قُوَّةٌ خَفِيَّةٌ تَجْدِبُ الْجَمِيعَ إِلَيْهَا ، وَكَانَتْ - دَائِمًا -

ضَحُوكًا وَتُحِبُّ الْغِنَاءَ ، وَكَانَتْ رَفِيقَةً مُمْتِعَةً . وَقَدْ أَفَادَتْ وَلِيمَ كَثِيرًا ، وَجَعَلَتْهُ يَرَى الْعَالَمَ ، وَكَانَ هُوَ يَنْعَمُ بِحَيَاتِهِ مَعَهَا ، وَلَكِنْ بَعْدَ مَوْتِهَا تَحَوَّلَ إِلَى شَخْصٍ مُخْتَلِفٍ تَمَامًا . فَقَدْ عَزَلَ نَفْسَهُ عَنِ الْعَالَمِ ، وَانْكَبَّ عَلَى الْكِتَابَةِ ، وَاغْرَقَ نَفْسَهُ فِيهَا ، حَتَّى أَصْبَحَ فِي النِّهَايَةِ وَحِيدًا ، لَا صَدِيقَ لَهُ غَيْرِي . وَكَانَ ذَلِكَ لِأَنِّي كُنْتُ أَعْرِفُهُ مِنْذُ عَهْدٍ طَوِيلٍ ، يَوْمَ كُنَّا طُلَّابًا . كُنْتُ أَعْرِفُهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَلْتَقِيَ بِجُولِي . نَعَمْ ، كُنْتُ أَعْرِفُهُ تَمَامًا ، غَيْرَ أَنَّ هُنَاكَ الْكَثِيرَ مَا زِلْتُ أَجْهَلُهُ عَنْهُ . هَلْ قَتَلَ جُولِي ؟ أَجِدُ أَنَّهُ مِنَ الصَّعْبِ تَصْدِيقُ ذَلِكَ ، وَلَا يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْهَا . بَلْ لَعَلَّهُ قَتَلَهَا فَعَلًا . وَعَلَى أَيْةِ حَالٍ هُنَاكَ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ مُؤَكَّدَةٌ : مَاتَ وَلِيمَ فِي مِثْلِ الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جُولِي ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ يَنَايِرَ ، بَعْدَ مُرُورِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً عَلَى مَوْتِهَا ، وَ لَا أَسْتَطِيعُ تَفْسِيرَ هَذَا اللَّغْزِ .

كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ وَلِيمَ لَمْ يَكُنْ عَلَى مَا يُرَامُ ، وَطَلَبْتُ مِنْهُ كَثِيرًا أَنْ يَتْرَكَ الْمَنْزِلَ . طَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَ مَعِيَ وَ يَبْقَى مَعِيَ ؛ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَتْرَكَ بَيْتَهُ . وَعَرَضْتُ عَلَيْهِ مَرَّةً أَنْ أَقِيمَ مَعَهُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُرِيدُ صُحْبَتِي ، وَعَلَى ذَلِكَ كُنْتُ دَائِمًا أَعُودُ لِمَنْزِلِي بَعْدَ انْتِهَاءِ مُبَارَاةِنَا فِي الشَّطْرَنْجِ كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعَاءٍ . لَمْ نَكُنْ نَتَحَدَّثُ كَثِيرًا أَثْنَاءَ مُبَارَاةِنَا ، وَكُنْتُ دَائِمًا أَذْهَبُ إِلَى بَيْتِهِ ، لِأَنِّي أَعْرِفُ أَنَّهُ كَانَ يَسْتَمْتِعُ بِصُحْبَتِي مِثْلَمَا كُنْتُ أَسْتَمْتِعُ بِصُحْبَتِهِ .

قَالَ وَلَيْمَ فِي قِصَّتِهِ إِنَّهُ حَاوَلَ أَنْ يَتَّصِلَ بِي تَلِفُونِيًّا فِي لَيْلَةٍ مَوْتِهِ ،
وَيَذْكُرُ أَنَّ التَّلِفُونَ لَمْ تُكُنْ بِهِ حَرَارَةً - وَهَذَا لُغْزٌ مَحِيرٌ أَيْضًا ، فَلَقَدْ
اسْتَحْدَمْتُ التَّلِفُونَ لِاسْتِدْعَاءِ الشَّرْطَةِ بَعْدَ أَنْ وَجَدْتُهُ مَيِّتًا ، وَكَانَ التَّلِفُونَ
يَعْمَلُ . هَلْ كَانَ وَلَيْمَ يَتَخَيَّلُ أَنَّه لَا يَعْمَلُ ؟ هَلْ كَانَ لَا يَعْمَلُ حَقِيقَةً ؟
إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، فَكَيْفَ حَدَثَ ذَلِكَ ؟ وَعَلَى هَذَا قَدْ تَكُونُ قِصَّتُهُ
وَلَيْمَ صَادِقَةً أَوْ غَيْرَ صَادِقَةٍ ، فَإِذَا كَانَتْ صَادِقَةً ، فَلَا بُدَّ مِنْ قَبُولِهَا . كَانَ
وَلَيْمَ ضَحِيَّةً لِقَوَى شَرِيرَةٍ ، لِشَبَحٍ غَيُورٍ (شَبَحٌ مَنْ كَانَ هَذَا ؟ لَا اسْتَطِيعُ
الْجَزْمَ بِشَيْءٍ) . وَقَدْ تَكُونُ الْقِصَّةُ غَيْرَ صَادِقَةٍ ، وَعَلَى ذَلِكَ لَا بُدَّ أَنْ
نُسَلِّمَ بِأَنَّ وَلَيْمَ قَدْ اخْتَلَقَهَا كُلُّهَا ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّه كَانَ ضَحِيَّةً خَيَالِهِ هُوَ ؛
فَاصْبَحَ فِي النَّهَايَةِ مَجْنُونًا فِعْلًا . وَلَمْ يَعُدْ يَحْيَا فِي عَالَمِنَا ، وَقَتْلُهُ خَيَالُهُ .
وَهُوَ افْتِرَاضٌ قَائِمٌ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَحْدُثَ ، إِلَّا أَنِّي لَنْ أَتَوَصَّلَ
أَبَدًا لِحَلِّ هَذَا اللَّغْزِ .

الشَّيْءُ الْوَحِيدُ الَّذِي يُمَكِّنُنِي عَمَلُهُ الْآنَ ، هُوَ إِعْطَاءُ وَصْفٍ تَفْصِيلِيٍّ
لِلَّيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ ، فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ يَنَازِيرِ .

وَصَلْتُ إِلَى بَيْتِ وَلَيْمَ فِي الْوَقْتِ الْمَعْتَادِ ، أَنِّي قُبِيلَ الثَّامِنَةِ بِقَلِيلٍ ،
وَكَانَ الْمَنْزِلُ مُظْلِمًا تَمَامًا ؛ وَهَذَا مَا دَهَشْتُ لَهُ ، فَعَادَةً مَا تَكُونُ إِحْدَى
الْحُجُرَاتِ مُضَاءَةً . طَرَقْتُ أَلْبَابَ الْأَمَامِيِّ وَانْتِظَرْتُ .. مَا مِنْ إِجَابَةٍ !
وَدَهَشْتُ لِهَذَا أَيْضًا ، فَقَدْ كَانَ مِنْ عَادَةٍ وَلَيْمَ أَنْ يَفْتَحَ أَلْبَابَ فِي الْحَالِ .

وَزَنَنْتُ أَنَّه خَرَجَ ، وَلَكِنَّ هَذَا الْإِحْتِمَالَ بَعِيدٌ ، فَلَمْ يَكُنْ يَخْرُجُ كَثِيرًا ،
وَدَائِمًا يَكُونُ بِالْبَيْتِ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرْبَعَاءَ ، بَلْ إِنَّه لَمْ يَكُنْ يَخْرُجُ قَطُّ فِي
يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ .

أَخَذْتُ أَطْرُقُ أَلْبَابَ بَعْنَفٍ ؛ وَلَكِنْ مَا مِنْ إِجَابَةٍ أَيْضًا ؛ فَحَاوَلْتُ أَنْ
أَفْتَحَ أَلْبَابَ الْأَمَامِيِّ ؛ وَلَمْ اسْتَطِيعْ ؛ فَذَهَبْتُ إِلَى أَلْبَابِ الْخَلْفِيِّ ، وَطَرَقْتُهُ ،
وَانْتِظَرْتُ مَرَّةً أُخْرَى .. وَمَا مِنْ إِجَابَةٍ ! وَحَاوَلْتُ أَنْ أَفْتَحَ هَذَا أَلْبَابَ
أَيْضًا ؛ وَلَمْ أَتِمَّكُنْ ؛ فَنَادَيْتُ وَلَيْمَ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ عِدَّةَ مَرَّاتٍ ؛ وَلَكِنْ مَا
مِنْ اسْتِجَابَةٍ ، فَالْقَيْتُ بِضَعِّ حَصِيَّاتٍ صَغِيرَةٍ عَلَى تَوَافِدِ الطَّابِقِ الْعُلَوِيِّ ؛
فَلَمْ يَظْهَرْ أَحَدٌ عِنْدَ أَيِّ مِنْهَا . إِنَّه لَشَيْءٌ غَرِيبٌ !

وَدُرْتُ حَوْلَ الْمَنْزِلِ ، وَنَظَرْتُ إِلَى التَّوَافِدِ فِي الطَّابِقِ الْأَرْضِيِّ ،
وَكَانَتْ كُلُّهَا مُغْلَقَةً . وَلَكِنِّي وَجَدْتُ فِي النَّهَايَةِ نَافِذَةً صَغِيرَةً كَانَتْ
مَفْتُوحَةً . إِنَّهَا نَافِذَةُ الْمَطْبَخِ خَلْفَ الْمَنْزِلِ . تَسَلَّقْتُ النَّافِذَةَ ثُمَّ دَخَلْتُ
مِنْ خِلَالِهَا (لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ سَهْلًا !) ثُمَّ أَضَاءَتْ نَوْرَ الْمَطْبَخِ .

كَانَ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْمَطْبَخِ مُرْتَبًا . صَحِيحٌ أَنْ وَلَيْمَ يَعِيشُ بِمُفْرَدِهِ ،
وَلَكِنَّهُ كَانَ شَخْصًا مُنَظَّمًا لِلْعَايَةِ ، وَكَانَ الْمَكَانُ نَظِيفًا وَمُرْتَبًا .

ذَهَبْتُ مُبَاشَرَةً إِلَى حُجْرَةِ الْمَعِيشَةِ ، حَيْثُ كُنَّا نَلْعَبُ الشُّطْرَنْجَ دَائِمًا ،
وَاضْأَتِ النُّورَ . كَانَتْ هَذِهِ الْغُرْفَةُ أَيْضًا مُرْتَبَةً : فَرَقَعَةُ الشُّطْرَنْجِ عَلَى

الْمِنْضِدَّةُ ، وَ قَطَعَ الشُّطْرُنَجَ فِي صُنْدُوقِهَا الْخَشَبِيِّ بِجَانِبِ الرُّقْعَةِ .
وَتَعَجَّبْتُ مِنْ ذَلِكَ ، فَعَادَةً مَا يَضَعُ وَلَيْمَ قَطَعَ الشُّطْرُنَجَ عَلَى الرُّقْعَةِ قَبْلَ
مَجِيئِي ، فَهُوَ دَائِمًا يَسْتَعِدُّ لِلْمُبَارَاةِ . وَعِنْدَمَا لَاحَظْتُ ذَلِكَ بَدَأَ الْفَلَقُ
يُسَاوِرُنِي ؛ وَ أَخَذْتُ أَنْادِيهِ بِاسْمِهِ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ ، وَكَانَتْ لَفْظَةً وَلَيْمَ
تَرْنُ وَ يَتَرَدَّدُ صَدَاها فِي الْمَنْزِلِ الْخَالِي . وَلَكِنْ مَا مِنْ أَحَدٍ يُجِيبُ ! فَتَرَكْتُ
حُجْرَةَ الْمَعِيشَةِ ، وَوَقَفْتُ أَسْفَلَ الدَّرَجِ ، ثُمَّ نَادَيْتُ : وَلَيْمَ ! وَ لَمْ يُجِبْ
أَحَدٌ .

تَحَوَّلَ الْفَلَقُ فَجَاءَ إِلَى خَوْفٍ - خَوْفٍ عَلَى وَلَيْمَ ! مَا الْأَمْرُ ؟ صَعِدْتُ
إِلَى الطَّابِقِ الْعُلَوِيِّ بِسُرْعَةٍ ، وَكُنْتُ أَصْعَدُ ثَلَاثَ دَرَجَاتٍ فِي الْمِرَّةِ
الْوَاحِدَةِ ، وَذَهَبْتُ مُبَاشَرَةً إِلَى حُجْرَةِ الْمَكْتَبِ ، لَعَلَّهُ مَا زَالَ يَعْمَلُ هُنَاكَ
وَلَمْ يَسْمَعْني .

طَرَقْتُ بَابَ حُجْرَةِ الْمَكْتَبِ وَ انْتَظَرْتُ .. لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ ضَوْءٌ يَتَسَرَّبُ
مِنْ أَسْفَلِ الْبَابِ ، وَلَمْ يُجِبْنِي أَحَدٌ ، لِذَا دَخَلْتُ الْحُجْرَةَ ، وَ أَضَاءَتْ
النُّورُ . كَانَتْ الْحُجْرَةُ غَيْرَ مُرْتَبَةِ ، فَالْأَوْرَاقُ تُعْطِي الْمَكْتَبَ وَ الْأَرْضَ ،
وَلَمْ أَنْظُرْ - فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ - إِلَى الْأَوْرَاقِ ، فَلَمْ أَكُنْ مُهْتَمًّا بِهَا ، فَأَنَا
أَوَّلُ الْكُتُبِ أَيْضًا ، وَلَا أَحِبُّ أَنْ يَطْلُعَ أَحَدٌ عَلَى مُسَوِّدَاتِ كُتُبِي ! لَمْ
أَكُنْ أَعْرِفُ - حِينَئِذٍ - أَنَّ هَذِهِ الْأَوْرَاقَ هِيَ مُسَوِّدَاتُ الْكِتَابِ الَّذِي

قُمْتُ بِمُرَاجَعَتِهِ ، وَلَكِنِّي اكْتَشَفْتُ ذَلِكَ - فِيمَا بَعْدَ - عِنْدَمَا جَاءَتْ
الشَّرْطَةُ ، وَقَرَأُوا مَخْطُوطَ وَلَيْمَ أَوَّلًا ، ثُمَّ أَذِنُوا لِي - بَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ -
بِأَخْذِهِ .

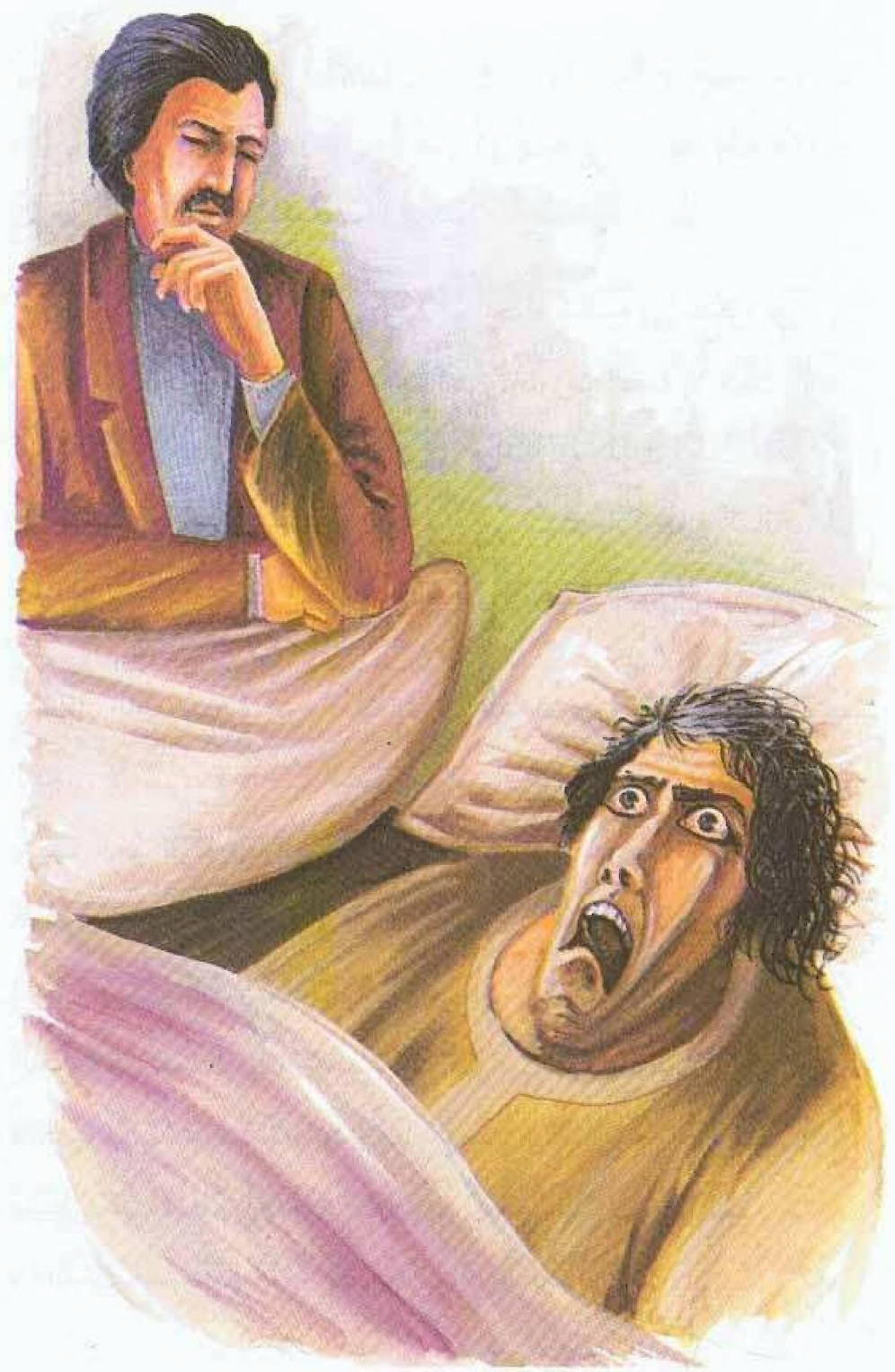
عِنْدَمَا غَادَرْتُ حُجْرَةَ مَكْتَبِ وَلَيْمَ لَمْ أَذْهَبْ مُبَاشَرَةً إِلَى حُجْرَةِ نَوْمِهِ ..
لِسَبَبٍ بَسِيطٍ . لَا تَنْسَ أَنَّ السَّاعَةَ لَمْ تَكُنْ تَجَاوَزُ الثَّامِنَةَ إِلَّا قَلِيلًا . وَهُوَ
وَقْتُ مُبَكَّرٍ لَا يَذْهَبُ فِيهِ أَيُّ امْرِئٍ إِلَى فِرَاشِهِ . وَ لِذَلِكَ رُحْتُ أَتَنَقَّلُ فِي
الْبَيْتِ مِنْ حُجْرَةٍ إِلَى حُجْرَةٍ أَنْادِيهِ وَ أَكْرُرُ التَّدَاءَ وَفِي نِهَايَةِ الْمَطَافِ لَمْ
تَبْقَ إِلَّا حُجْرَةٌ وَاحِدَةٌ : حُجْرَةُ النَّوْمِ .. فَاتَّجَهْتُ إِلَيْهَا .

كَانَ بَابُ حُجْرَةِ النَّوْمِ مُغْلَقًا ، فَطَرَقْتُهُ بِلُطْفٍ وَ انْتَظَرْتُ .. وَطَرَقْتُهُ
ثَانِيَةً .. لَا شَيْءَ ! فَتَحْتُ الْبَابَ بِهَدْوٍ .. كَانَتْ الْحُجْرَةُ مُظْلِمَةً تَمَامًا ،
وَكَانَ الْحِجْوُ بَارِدًا فِي الْحُجْرَةِ إِنَّمَا أَتَذَكَّرُ الْآنَ أَنَّ بَعْضَ أَجْزَاءِ الْمَنْزِلِ
الْأُخْرَى كَانَتْ دَافِئَةً .. وَ أَخَذْتُ أُرْتَعِدُ فِي حُجْرَةِ وَلَيْمَ ، وَلَمْ أَعْرِفْ
لِمَاذَا ، وَلَكِنِّي أَحْسَسْتُ بِخَوْفٍ غَرِيبٍ ، كَمَا لَوْ كَانَ هُنَاكَ شَخْصٌ فِي
الْحُجْرَةِ - كَمَا لَوْ أَنَّ شَخْصًا كَانَ يُرَاقِبُنِي (أَوْ لَعَلَّنِي كُنْتُ أَتَحَيَّلُ
ذَلِكَ) . وَ تَحَسَّسْتُ الْحَائِطَ بِأِحْثَاءٍ عَنْ مِفْتَاحِ الضَّوِّ ، وَلَكِنْ كَانَ الْفَرْعُ
يُسيطرُ عَلَيَّ ؛ فَلَمْ أَجِدْهُ (كَانَ قَلْبِي يَدُقُّ بِشِدَّةٍ) ثُمَّ رَكَلْتُ شَيْئًا ،
وَ عِنْدَمَا تَحَسَّسْتُهُ وَجَدْتُهُ مِنْضِدَّةَ السَّرِيرِ الْخَاصَّةِ بِوَلَيْمَ .

تَحَسَّسْتُ قُرْصَ الْمُنْضَدَةِ حَتَّى وَجَدْتُ الْمِصْبَاحَ ، وَ ضَعَطْتُ عَلَى
الْمِفْتَاحِ ؛ لَكِنَّهُ لَمْ يُضَيِّ ! وَإِذَا بِي أَرَكُلُ شَيْئًا مُلْقَى عَلَى الْأَرْضِ :
كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ الْقَابِسُ . جَثَوْتُ عَلَى رُكْبَتَيَّ وَأُمْسَكْتُ بِهِ ،
وَسَأَلْتُ : « لِمَاذَا لَا يَكُونُ الْقَابِسُ فِي مَوْضِعِهِ بِالْمَقْبَسِ ؟ »

وَضَعْتُ الْقَابِسَ فِي الْمَقْبَسِ ؛ فَأَضَاءَ الْمِصْبَاحُ ، ثُمَّ نَهَضْتُ وَاقِفًا ،
وَدُرْتُ بِبَصَرِي فِي أَثْنَاءِ الْحُجْرَةِ . لَمْ أَصْدُقْ عَيْنَيَّ ! كَانَتْ الْحُجْرَةُ
فِي حَالَةٍ سَيِّئَةٍ مِنَ الْفَوَاضِي : نَافِذَتَانِ مَكْسُورَتَانِ ، شَطَايَا مِنَ الرَّجَاجِ
تُعْطِي الْأَرْضَ ، قِطْعُ الْمَلَابِسِ عَلَى الْأَرْضِ أَيْضًا - مَلَابِسٌ وَلَيِّمٌ وَفُسْتَانِ
سَهْرَةٍ لِحَوْلِي . وَكَانَتْ خِزَانَةُ الْمَلَابِسِ مُهَشَّمَةً تَمَامًا ، وَقِطْعٌ مِنَ
الْخَشَبِ مُبَعَثَرَةً عَلَى الْأَرْضِ . كَانَ هُنَاكَ أَيْضًا قِصَاصَاتٌ مِنَ الْوَرَقِ .
الْتَفَقْتُ قِصَاصَةً مِنْهَا ؛ وَ أَدْرَكْتُ أَنَّهَا جُزْءٌ مِنْ صُورَةٍ .. هَبَّتْ رِيحٌ بَارِدَةٌ
مِنْ خِلَالِ النَّافِذَةِ الْمَكْسُورَةِ ، وَكُنْتُ أَسْمَعُ مُوَاءَ قِطْعَةٍ فِي الْخَارِجِ .
وَكَانَتْ تَبْكِي كَأَنَّهَا طِفْلٌ صَغِيرٌ . يَا لِلْمِسْكِينَةِ !

وَدِدْتُ أَنْ أَغَادِرَ الْحُجْرَةَ بِسُرْعَةٍ ، وَلَكِنْ كَانَ عَلَيَّ - أَوَّلًا - أَنْ أَجِدَ
وَلَيِّمٌ . وَكَانَ السَّرِيرُ الْمَزْدُوجُ مُلَاصِقًا لِلْحَائِطِ ، وَكَانَ هُنَاكَ شَخْصٌ تَحْتَ
الْأُغْطِيَةِ ، وَثَمَّةٌ وَسَادَةٌ عِنْدَ طَرَفِ السَّرِيرِ الْأَعْلَى . رَفَعْتُ الْوِسَادَةَ
بِهَدْوٍ ، وَكَانَتْ تُعْطِي وَجْهَ وَلَيِّمٍ تَمَامًا . وَ أَدْرَكْتُ فِي الْحَالِ أَنَّهُ مَيِّتٌ .



مَلَأَنِي وَجْهُ وَلِيمٍ بِالْفَرْعِ ، فَقَدْ كَانَتْ عَيْنَاهُ مَفْتُوحَتَيْنِ عَلَى اتِّسَاعِهِمَا ،
وَكَانَ فَمُهُ أَيْضًا مَفْتُوحًا ، وَكَانَتْ عَلَامَاتُ الْخَوْفِ وَالْفَرْعِ مَرْسُومَةً عَلَى
وَجْهِهِ . كَانَتْ عَيْنَاهُ جَا حِظَّتَيْنِ نَاحِيَّتِي . كَانَتَا تُحْمَلِقَانِ فِي فَرْعٍ .

وَضَعْتُ الْوِسَادَةَ عَلَى وَجْهِ وَلِيمٍ يَهْدُوهُ ، وَلَمْ أَشَأْ أَنْ أُغَيِّرَ مِنْ وَضْعِ
أَيِّ شَيْءٍ قَبْلَ حُضُورِ الشَّرْطَةِ . وَوَقَفْتُ طَوِيلًا أَمَامَ الْجُنَّةِ ، فَقَدْ شَلَّتْنِي
الصَّدْمَةُ عَنِ الْحَرَكَةِ تَمَامًا ، إِذْ كَانَ يَسُودُ الْحُجْرَةَ جَوْ كَثِيبٌ ، شَرِيرٌ
لِلْغَايَةِ !

وَفِي اثْنَاءِ وَقُوفِي هُنَاكَ لَاحِظْتُ شَيْئًا غَرِيبًا عَلَى الْوِسَادَةِ .. كَانَتْ
تُحْمَلُ بِصِمَاتٍ وَاضِحَةٍ - أَشْبَهَ بِصِمَةِ كَفِّ أَلِيدٍ ، كَمَا لَوْ أَنَّ يَدًا كَانَتْ
تَضَعُطُ الْوِسَادَةَ بِشِدَّةٍ عَلَى وَجْهِ وَلِيمٍ - وَدَاوَمَتِ الضَّعْطُ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى
لَفَظَ أَنْفَاسَهُ الْأَخِيرَةَ .



المغامرات المثيرة

- ١ - مغامرة في الأدغال
- ٢ - مغامرة في الفضاء
- ٣ - مغامرة أسيرين
- ٤ - مغامرة في الجزيرة المحصورة
- ٥ - مغامرة على الشاطئ
- ٦ - الجاسوس الطائر
- ٧ - لصوص الطريق
- ٨ - حمد الغواص الشجاع
- ٩ - اللسان الغبان
- ١٠ - مطاردة لصوص السيارات
- ١١ - مغامرات السندباد البحري
- ١٢ - لعبة خطيرة
- ١٣ - الخشنة الذهبية وقصص أخرى
- ١٤ - اللؤلؤة السوداء
- ١٥ - سر الجزيرة



مَكْتَبَةُ لِبْنَان

سَبَاحَةُ رِيَّامُ الصِّلَح - بَيرُوت

رقم مرجع كميونتر 01 C 198 212